# حافَّةُ القراءة

## مقاربات للنص الإبداعي

أبو القاسم المشاي

مجلس الثقافة العام

# حسن أبو يوسف الدويني


إصدارات

**مجلس الثقافة العام**

# حافة القراءة

## مقاربات للنص الإبداعي

أبو القاسم المشاي

الناشر

مجلس الثقافة العام

اســـم الكـتـاب: حـافـة الـقـراءة ( مقاربات للنص الإبداعي )

اســـم المؤلـف: أبو القاسم المشاي

سـنـة الـنـشـر: 2008 م

رقـم الإيـداع: 37 / 2008 م ( دار الكتب الوطنية )

الترقيم الدولي: 978 - 9959 - 38 - 782 - 0

تصميم الغلاف: علي العباني

لـوحـة الغلاف: أبو القاسم المشاي

التنفيذ الفنـي: دار قباء الحديثة - القاهرة

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

إصدارات

## مجلس الثقافة العام

المقر الرئيس – مجمع المؤتمرات – سرت

هاتف 002185468622 – بريد مصور 002185473161

فرع طرابلس - عمارة الواحات - شارع عمر المختار

هاتف 00218214449894 – بريد مصور 00218213335388

ص ب 2764 طرابلس

فرع بنغازي - الفويهات الغربية – الطريق الدائري الثاني

هاتف 00218612241577 – 00218612241578

بريد مصور 00218612241576 – ص ب 9351 بنغازي

بريد إلكتروني – LCC2_2005@Yahoo.ca

# حافة القراءة

## مقاربات للنص الإبداعي

النص لا ينحصر في الأدب الجيد. إنه لا يدخل ضمن تراتب، ولا حتى ضمن مجرد تقسيم للأجناس. ما يحدده على العكس من ذلك هو قدرته على خلخلة التصنيفات القديمة.

**رولان بارت ـ درس السيميولوجيا**

# مدخـــل

## اكتشـاف حافة القـراءة !!

القــراءة بمـــا هي انكشاف واكتشاف وبالتالي لا يمكن اختـــزالها في عملية تأويلية ممنهجة أو مؤطرة بحدود تعددية القراءة ذاتها وبما هي مساحات نقدية قابلة للهدم أو التحلل أو اقتفاء أثر محمول على أكتاف التداول أو متحرك على قضبان التاريخ أو استجلاء للتعاويذ المنشِّطة للذهنيات المغلفة بغموض الماضـــي والمرتعبة والخائفة من وطأة المستقبل!! وقد نذهب إلـــى القول بأن القراءة فعل استكشاف وتجلي واستنطاق أولي لـــنص ما.. وفي ذات القارئ تقتصر القراءة في أحيان كثيرة علـــى انطباعات وتمظهرات مفترضة ( لقارئ مفترض!! )، بينما يصوغ التأويل آلية منهجية لرؤى محددة يصوغها الفاعل والـــباحث عـــن كوامن النص أو توجهاته ومحصورة بعلاقة المـــؤول.. كمـــا يشكّل التأويل عملية استثمارية موجهة تخدم منهجـــيات معرفية مؤطرة وتساهم في خلق رؤية تشخيصية / تشكل القراءة عملية تحري على النص لبث صورته عبر فعل الاســـتنطاق اللغوي واستكشاف لا ـ محدودية القراءة ذاتها /

والمقاربـــات التي نقدمها هنا لمجوعة من النصوص الإبداعية تلامـــس حـــواف القـــراءة الأولـــى دون خوض في مغامرة استكـــشاف معمقـــةّ للمنتوج (بمستواه البنيوي أو بخضوعه للمـــسارات التفكيكـــية ) التي تجد في المتصور الذهني لفعل القـــراءة منحاها الاستراتيجي لتفعيل عملها الفكري وخوضها لعملـــيات اكـــتمال الكـــتابة التي تحددها في إطار ( متمركز صـــوري وسمعي ) وبواسطتهما تصوغ رؤية ونظرة شمولية ولمسار محدد للنص المكتوب.

وتـــصوغ القراءة في جوهرها وفعلها المعرفي الابتكاري الإبداعي هوية المنطوق والملفوظ والمعبر به وعنه والمعبر له ومـــنه .. وبما هي عملية استنطاق واستكشاف واكتشاف، وبما هي مساحات لسبر الأغوار والخوض في مكامن النفس والعقل والـــروح وبمـــا هي حركة وإشارة ودلالات ميسّرة ومغمضة تحلـــيل، تأويل، تدوين، نحت، حفر، تفكيك، وبما هي منظومة معـــرفية متكاملة تمثل مجموعة سيرورات صيرورات تاريخية متـــراكمة، مـــتداولة، ومتوالدة ومتسائلة ومتناسلة ..، وبما هي كذلك استحالات وتوهمات وتخيلات وترميزات .. تصوغ عبر تـــراكماتها وتفاعلاتهـــا مـــؤديات وعلامـــات وكلمات تتصهر

وتتجاذب وتتقارب على حواف وتصورات ومدارات إنتاج نصٌ جديد يمكن تسميته بنصِّ القراءة.

وتبـــرز " الهـــرمنيوطيقا " فـــن القراءة ـ فن استنطاق النـــصوص وتفسيرها وتفكيكها والكشف عن معانيها ورموزها ومـــؤدياتها وبنية خطابها وملفوظاتها واستعاراتها، لتأخذ حيزًا هامًّـــا ومؤثـــرًا في فلسفة القراءة، خاصة مع بول ريكور الذي أعـــاد قـــراءة الـــسؤال الفلسفي ليمدّه لأقصى حدوده المفاهيمية ويـــصوغ مفارقاتـــه ومقارباته بين عديد التيارات التي تغطي الاســـتفهامات والجـــدالات الـــسابحة في فضاء الفلسفة والفكر، ويقـــود " الـــنص " إلـــى مختلف المساحات والمجالات وأنماط الحـــضور الوجودي الإنساني باعتبار أن الحياة الإنسانية ذاتها "نص" أو نص التوهمي أو شبه نص وكل ما يمكن قراءته.

إذن، عبـــر القراءات التي نقدمها في هذا الكتاب، نحاول أن نلمـــس حـــواف التجربة الإنسانية التي تضمنتها النصوص الإبداعـــية التـــي نخوض فيها قراءتنا الميسّرة / دونما خضوع لمـــؤديات أو إرشـــادات نقدية ممنهجة تحيد بنا عن المقاربات المفتوحة/ للخطو على الحافة المقروؤة حيثما أمكننا السير دونما عثـــرات، وجـــاءت مقارباتـــنا لتجارب إبداعية متنوعة، رأينا

الخـــوض فـــي يقظتها الإنسانية، وحاولنا أن نجد على حواف قـــراءتنا لهـــا ( الجـــرأة المحتملة ) التي احتواها هذا الكتاب، وجـــاءت القراءة للمجموعات الإبداعية للكتّاب ( دونما تجنيس للكـــتابة / نص أنثوي/ نص ذكوري )، والتي تم تصنيفها فنياً وفق الآتي :

**المجموعة الشعرية** ( ابتهالات إلى السيدة " ن " ) للشاعر الراحل: جيلاني طريبشان.

**المجمـــوعة الـــشعرية** ( قـــراءات على كف سندباده ) للشاعر الراحل: لطفي عبداللطيف.

**المجمـــوعة الـــشعرية** ( الأرض في مكانها ) للشاعر محمد بركات.

**المجموعة الشعرية** ( الأبوة الضالة ) للشاعر: لقمان الديركي.

**المجموعة الشعرية** ( لخطوات أنثي ) للشاعرة: ردينة الفيلالي.

**المجموعة الشعرية** ( تفاحة نيوتن ) للشاعر: فيديل سبيتي.

**المجموعة الشعرية** ( صورة لامرأة مرتجلة )، للشاعرة : حسنة عُدي.

**المجموعة الشعرية** ( ينتظرونك )، للشاعرة : خلود الفلاح.

**النص الروائي** ( وبر الأحصنة ) للكاتبة : نجوى بن شتوان.

ويمكـــن القـــول بأن المقاربات النصية التي قرأنا حوافها دون إن تكـــون تـــأويلاً للمكـــتوب، بقـــدر ما هي استكشافات تخطيطـــية، ورؤى تنويرية تمثل خطوات أولى باتجاه الانفتاح علـــى النـــصوص الإبداعـــية التي لامسنا حوافها ومستوياتها وتصوراتها الأولية.

* * * *

# حافة الشعر

لمَ أصعد دون سواي ؟
لمَ هذه الصخرة بالتحديد أحملها عن الآخرين ؟!

**فرناندو بيسوا**

# سيرة العبور

**قراءة النصوص الشعرية / ابتهالات إلى السيدة "ن"**

**للشاعر الراحل : جيلاني طريبشان**

**[ . . . ]**

يـــربكنا بنعـــيه القرمـــزي، ويذكر أمسياته المؤججة بالـــشعر والحـــب/ الـــضياع والاشتياق، فكم من المطارات والأزقـــة.. لعله سمير السعيدي يذهب في قراءته لنصوص جيلاني طريبشان قائلاً:

"حالة شعرية هائمة بكل أسرار القصيدة وفضائح الاشتياق يتـــنقل بـــين محطات البوح، وشبابيك الذاكرة مغلق بالشعر.." ويـــضيف أيضاً في قول آخر : " طريبشان آخر الصعاليك في أواخـــر هذا القرن، وأول المحترقين بجمر القصيدة المعاصرة بحـــق، والتـــي تـــشبه القـــرنفلة بشكلها وفعل البريق، بحدثها ورشاقتها، وكذلك هو أبداً.. ".

جيلاني طريبشان شاعر صوفي، عاشق للغة في انفلاتها

ومراوغاتها ومزاحماتها لنبضه المتوتر المتجلي بفيضه الموفور غبطة وألم/ فرح وحلم..

**كنّا خمسة في باريس**

**يقتعد الواحد منّا أرضية الغرفة**

**وجريدة ( لوموند )**

**...**

**كنّا خمسة لا نملك من أمر الأرض**

**سوى الصمت.."**

يرصـــد نتوءات الوجع، ويقرأ صمت الآخرين، وما برح المكـــان تحـــت أرضـــه!!، وكأنه في ذات الملاحقة يقتفي آثار بودلير ( أزهار الألم )، ربما تفضح ذاك الألق المهيب.

**« في الشانزليزية تصحبني أيزابيل**

**إلى المطعم**

**أقتات بباقات الورد**

**والتهمُ شطيرة لحم الأوعال**

في اللوفر.. أعقل ناقات زياد

وأبيع قصائد طرفة بن العبد

وأكتب شعراً في تواليت الصمت »

الصمت لدى جيلاني وكأنه استنطاق ما لا ينطق/ وما لا يكتب/.. وليس أمام ( السيفون )، إلاّ أن يسكب لغة الصمت ويتوضأ باندلاق الأغنيات الملكية وأن ذبحت شهوة ضرعها..

[ . . . ]

وللبسوس أيضا ناقتها ولهم نوقهم الذهبية العجفاء ولازال امرؤ القيس يغني لوعته:

"بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه"

جرعات من الاغتراب الساخنة والقاسية، تُلهب المدى البعيد/ وسيرة الأوطان مقبرة مستعارة لضياعنا فيها وفرارنا منها:

"إن بيروت لم تهزم

فهي ملء المدى أضرحة

وهي.. فوق كل التلال

شاهد العصر والمهزلة.."

يرســـم القناع صورة شعرية ملونة حيناً وفي ارتداد آخر فهي أبيض/ أسود، ويحرّض المخيلة لاستلاب صورة الماضي وتـــورية راجفـــة تشتهي أزمنة الصعلكة والضياع وينفي عنه رؤياه ويسدل ستارته على أمكنة وخرائط منقرضة وضائعة في زحمة الليل/ الضباب/ الغياب..

**" لن ترى الوادي لا القنطرة**

**لن ترى الورد يهبط من شرفات الغمام**

**لن ترى العازف المتجول**

**لن ترى العازف المتسول شرفات الضياع**

**لن ترى العازف المتوّحد بالوجد والصولجان**

**لن ترى الثور، لا حلبات الصراع**

**لن ترى المذبحة ؟!!.."**

وعن الانبهار الشعري لدى طريبشان يرى الشاعر محيي الدين محجوب بأن في تجربة جيلاني " الكثير من القلق والحزن والاغتـــراب وهو على علاقة وثيقة الصلة بالحيرة التي تتكشف فـــي أشعاره، في تمظهرها لحالات الجنون وإضاءات العاطفة

الطالعـــة مـــن الكوامن.."، ونلمس ذلك بتحسسنا لحالات التيه والرفض ويصب جمّ لعناته شعراً :

" أيها السادة السفهاء !

أيها السفراء؟

أيها المرتشون، الفاسدون

النائمون على سرر الفقراء ..

منتهكين البراءة/ مغتصبين الطفولة ؟

أيها المرتشون ؟

لكم ساعة قد تحين قريبا ؟

ولنا أوبة للمقاهي الوضيئة

ولنا وطن، حين نبغي نفجرّه في قصيدة !! "

فهو الشاعر الصوفي النائح في تجاويف العبور، الشاعر الــرافض لصنوف المهزلة والفساد..، يحفر سيرته بيسر على صفحة اليّم ويلفظ الخراب، ويحتفي بالعشق، أينما ولى وجهه :

" لا الحزن الطالع من عينيك يفاجئني

لا الرمل العالق في قدميك... يحذرني "

ويعلّــق ولهـــه تعويذة وإضاءة وبشاعرية رسولية يحمل هــروبه وفــراره اختــيارا وحــرية؛ والمــرأة ملاذه البديل/ الحقيقي/...

" إني أحملّك ملامح هذا الوطن

الهارب من أقبية الماء المسموم

يا حبي الأول والآخر

يا زين نساء العالم:

وحدي أتوحد فيكِ.. وأبكي "

وكمــن يشحذ سكينه على صدر المغفرة، ويلّوح به على عنق الكلام شاهراً نصل الابتهال إلى السيدة ( ن )، وأن لاذت فـــي مخابــئ الحروف المجوفة لحظة عريها في الظلام، فكأن التاريخ يلملم غباره وينفض عن جسدها نزيف الذعر والانتظار:

" تعبرين الشوارع غامضة،

غير أني أقرأ سركِ في كل باب

وأعلم سر احتكام محبيكِ

إلى البندقية،

**لا زهداً، أتمنى يديك..**

**تمران في راحتي،**

**وتداعب قلبي وتمسح ما خلّف**

**الهمج المستبدون**

**من تذوب فوق جلدي..**

**لكنني الآن أسألهم،**

**واحداً واحداً**

**هل تغفرون الإساءة ؟! "**

الغموض/ السر، المغفرة / الإساءة..، وكأننا نسألهم دائما وغداً أيضاً، كيف يحتملون الإساءة ويكدسونها على عتباتنا وأكتافنا كل صباح، كل حين..، كيف صاروا يحتملون كل تلك اللعنات وأكثر..

كيف استطاعوا أن يدخلوا التاريخ، ويلجوا معقل النطق دونما حشمة/ دونما مغفرة/ دونما..، وهكذا تراهم يفعلون؟!

فهم لا يجيدون سوى الإساءة تلو الإساءة، حين لا يجديهم طلب الصفح، فكيف لنا أن نغفر أو نبارك أو نصفح عن الذين

اعـــتقلوا وقـــيدوا خطاك.. ياجيلاني، وشحذوا سكاكينهم خلف عـــنقك وعلى مشارف نبضك، ونزعوا فتيل فوانيسك المضيئة على سفوح الجبال العالية وفي الليال الكالحة السواد.. كيف كان لهم كل ذلك؟!.

[. . .]

وكأننـــي أسترشد بنص الشاعر البرتغالي فيرناندوا بيسوا "من يعيش مثلك لا يموت" يتفق سراً مع الموت وتلك هي وصية القدر بختمها السحري الغامض.

**" أبهذه البلاد**

**الـ .. كنتُ أسميتها وطناً "**

اللفـــظ الشعري الذي يلفح جنبات الألم، ويحترف المأساة ( تراجيديا ) تباغت جسد النص، ومع كل القرف والألم والفاقة التـــي تحاصـــر الـــشاعر/لا تفقد نصوصه شفافية الارتواء من عطش اللغة، ولا تفقد بوصلة تجاهها لمشارف النور..

وفـــي نـــصه ( إحـــباط )، يدلق غده على حصيرة يومه ويستدرجه رويداً، رويداً والعبارة طوع فيوضه:

"تخرج من دائرة النسيان

تجلس في صحبة من تهوى

فلا تقوى على الكلام

...

لعله الخوف من الغد المليء بالألغاز

لعله الإحساس بالأعياد!!"

ويــنحت للإحــباط حاسة للغد وإن ترآت في إعيائها نــضرة وحالمة..، وما بين نسيان الأمس والخوف من الغد، يعلن بهدوء :

" لماذا كل هذا الصمت ؟!

... ونحن في بداية الطريق "

وكأنـــنا مــع جيلاني طريبشان نستذكر المساءات التائهة دونمـــا دلـــيل، نـــستذكر ذائقة المزامير البعيدة، وأناشيد الزائر ( لـــتوكارم )، وأهازيج ( الفادو )، وتلك الأسفار العشقية التي لـــوّعت زاد الحنين، واحترقت على مراميها العذارى ..، حين تغلغلت في طيات اللغة وتزاحمت على أبواب اللفظ وإن تنافرت

الأحداث وتناطحت، وإن تمازجت الدروب وتضافرت التراتيل فـــي نواحها..، فالعشق طقوسه وتسبيحه، ولطريبشان تسابيحه العشقية الظافرة والمشحونة بدفق الدعاء.. والصلاة.. ولكل يوم طقوسه ولكل حين صلاته:

" سأقيم مملكتي

وأبني خيمتي

( ماشئت لا ما شاءت الأقدار )

وأذكر صحبتي

أستحضر الأرواح

بوركت أنت الواحد القهار

سأقيم مملكتي... ".

يسكب رحيق لعناته وفيضها الطازج أبداً والمنساب دائماً بين ثنايا القصيدة وعند تخوم ارتباكه.. طريبشان يستوي بجدارة علـــى عرش المفردات ويلبسها جبة العشق المطرود من أروقة الغـــواية، إذ تتجلـــى ابتهالاته للسيدة ( ن )، حين يخطط على أطراف الذاكرة وحين الفجر مرتع طمأنينة حافي.

[ . . . ]

" أسألك الآن ياصاحبي :

أي هذي الدروب يقود إلى الآخرة ؟

لماذا تفرّ العصافير من وجهك الآن ؟

ينبت العوسج الجبلي على خشب القبر،

وأقرأ في الشاهدة

كان شهماً نبيلاً...

يحب السحاب، ويمنح للفقراء العطايا

وكان شجاعاً

بلا حكمة/ كثير الكلام

أي هذي الدروب يقود إلى القبر

أي هذي الدروب يقود إلى البحر .. ".

تلتّف الأوراق وتلتهم أسطرها، وتلقي بها على بياض الواجهات، الأمكنة، الأضواء، المسافات الهاربة..، ويوّغل في الابتعاد، حيث الافتقاد ولا وسادة تمتص الحنين العالق في ذاك المكان، ولا ابتهال يحضن أسئلة التعب، والمرارة قسوة للأيام

الغابرات، حين كان الحلم مطيراً وربيعاً.. أيها المتوّحد بذاكرة الـــيم، رفاتـــك غيمة..، أيها السابح في تجاويف القراءة دونما أحـــرف..، فقـــدنا زهـــوك المـــشجّر فـــي مساءات الصائفات المنقرضة المقطوعة الأوصال..

وعلـــى رصـــيف الأمكنة المجاورة للفندق الكبير.. حيث الـــدرب الـــذي يقـــود إلى البحر، وحيث الدرب الذي يقود إلى القبـــر..، فأي الدروب اخترت حين عقمت الأجابة عن القول.. ذاك المـــساء وحين طرابلس تتهيأ لزفاف جميلاتها ومن خلايا حـــناياها تنـــسج لهن الزغاريد، والفرح..، غادرتها عاجلاً إلى الـــرجبان.. على وعد اللقاء بالمجيء.. وانفرطت مسبحة الوعد برعشة مارقة عن نبضك الكتيم..!!

* * * *

# تعـويـذة للـحـلم
# وأخــرى للـرحـيــل..!!

**على حافة القراءة لمجموعة الشاعر لطفي عبد اللطيف**

**( قراءات في كف سندباده )**

( . . . )

وكأن التراتيل تؤرخ مجدها بالهذيان.. وللكلام أن يسافر علـــى جـــناح سندباده.. حين أحاديث الريح تنحت صفيرها في مـــدن الخيـــبات.. وبعبارة انجلتون فإن " النص الأكثر امتلاءً بالمعـــرفة يحـــرز إدراكاً وفهماً جيدين". وهذه دالتنا وبوصلتنا لقـــراءة ( كـــف ســـندباده !! )، وكأنـــنا نوثق رؤى موصولة بالمـــستقبل الـــذي يـــصوغه الشاعر في تدويناته ونصوصه..، لتضفي على الشعر صفته الكونية:

كتلك الشجيرة

حطت بها الريح عانقها التراب

ضمدها الطل

**وتاقت إلى النور..**

يـضمّد تـراتيل أوجاعها / أوجاعه وأسرار الأيام وهي تحفـر تجاعـيد أنينها ( خرائط ) نحتمي بقراءاتها ونستبيح ما تبقي من سر العشق/ حين العراف الثاني بعد الالفين.. تفضحه الفناجين التي أغلقت قاعها على بصمات الحرف:

**حلو كذب العرافين**

**وسحر كذب العرافات**

**ذيل الأول رأس الثاني**

**من عامين**

**جديد حل ، قديم مات !!**

فـأي الممرات تسلك/ وأي الخرائط تسترشد وأي اللغات تفلـت مـن سـجن العبارة..، حين تستنفذ طاقتها وفيوضها.. وتومض صيغة الإنشاد بين الاعتراف والتوقف.. حد ما يسمح للماضي بأن يعيد خلق صورته :

**أشرح أم أعترف**

**ماذا قد يختلف**

فقد يستنفدني

ماضَ لا ، لا تقف

إنا في ظمأتنا

منا لا نعترف !!

هــذه الظلمـــة الموحـــشة / تلـــك الطرقات البعيدة في صـــداها.. والأوهـــام تجرجـــرعباءة اللـــيل وتعـــري أحلامها ووسوســـاتها ( المؤودة ) في الحيرة والخفاء.. وبين مسامرات الوجع ومقاطع من حفيف الأجنحة.. يقرأ لنا الشاعر لطفي عبد اللطـــيف: أحاديـــث السندباده، ويصوغ قراءاته على كفها حين يغض الطرف :

مشارق هي الوجوه

لأفئدة العاشقين

وأفاق كشف

هو الحب عندي

إفادة برد القوانين

نزع الرتابة من أي عرف

من تجليلك

حتى يرى غض طرفي .

[ . . . ]

الأمكـــنة البعيدة منتزعة الرتابه.. هي الأمكنة التي تطل علـــى مشارف الوجه ( وجهها ) ،. وعند تخوم الفؤاد يستحيل البـــرد دفـء، وتؤســـس لطقوس التحول .. و لها وحدها العين تـــرقب المواعيد.. إذ يلتقط الحنين مآقي القول .. ويسبّح لشغف العاشـــقين حين مواعيد الأنجم ترتدي ضوءها، و( لا مواسم.. ولا قوافل .. ) :

على من تطل الشبابيك

والليل قاتم

لمن ترتدي الأنجم الضوء

لا عين ترقب موعدة

لا قوافل عائدة

لا مواسم ..

يقرأ لنا ما تيسر من سقف الليل/ العتمة ... وللفظ عيونه التـــي ترقب موعدها الذي ربما يحين على شفاه قاتمة أيضاً .. ويلوذ بنا في غير موضوع وعلى حواف التناثر للفصول/..

**أنا قصة**

**في المدن**

**أشبه غيري**

**وانتباه العيون**

**إذا هبت الرياح يأسي**

**ويحزن إذ يلتقي بالسكون**

**وعنوانه حيث نلقاه**

**فالوقت أن يبتدي العاشقون**

**وأن ينتهي العاشقون ..**

الخطـــوات تعـــتقل المسير ويتعثر بانتباهها..، تلك التي قـــرأت كفهـــا../ حـــين لفحتها تعاويذ التذكرة والحنين.. ننحت حروفها في دفاترنا وبين طيات النبضة ( اليتيمة ) الخافتة ندس

رحـــيق ابتـــساماتها الشهية/ والشقية..، ألم يدركك الحنين أيها الشاعر.. الممسك بعصاك قيد ارتحال العيون..

**تعوَّدت ياغربة الروح**

**أن تسبقيني**

**إلى عريداتي**

**وفي كل رحلة ..**

**حدوداً بنفس المعالم**

**ختماً بنفس الحروف.**

...

**كذاك هو الشعر لحظة !!**

نصوغ هنا بعض النصوص فقط لنحاول إقامة مقاربة أولى على حواف القراءة.. وبالتالي نترك لكم أوالية القراءة لنصوص الـــشاعر الـــراحل لطفـــي عبد اللطيف الذي شكل تجربة شعرية معاصرة.. تستوقفنا لقراءتها وتداولها ورصد تدويناتها منذ أزمنة طـــويلة مليـــئة بالـــرحيل والعشق والمدن والأزقة.. إلى الحنين والوله، إلى آخر أيام حياته معنا ولكنه مازال يؤانسنا بقراءاته :

**من غيرك يخبرني عني**

**في أي الصور الآن أنا**

**فقدانك فقداني..**

**لا غاية تجمعني،**

**والعالم يسلبني مني**

**كوني .. فأكون .**

تلوذ بنا القراءات العصية على السامعين، نقرأها في حيرة الارتباك وفي متاهات الخرس.. وكأننا بتلك الخطوات التي أنهكتها المسافات والدروب.. نخمن في أي الفضاءات سبح الشاعر ليقطف شدو السؤال/ ويلهم سر الكلام بتنزله / وفي أي المدارات صارع ألق الضوء لنهارات فيها الحلم يقظة / ولليالي يشدّ أوتار أغنياته.. وما الحلم سوى أوهام وعتمة تدوّن ( ترف المستحيل !! ).. :

**فراغ وضيق / وأول أخبار يوميك..**

**نفس الطريق / وآخر أخبار يوميك..**

**ما لا تطيق / نهارك واليل وجهان**

والعملة الصبر / والسوق تواقه للرقيق..

فماذا التحرر/ بين الرمى والحصيد

وتنور حرق النوى والدقيق

وماذا ؟

وبين المجاديف والموج / لا حول للبحر لا للغريق !!

...

نهارك والليل حلم

وماذا هو الحلم

ألا تفيق ؟!

المساءات/ الصباحات/ الأمسيات/ الأحاديث الوارفة جميعها في الظل/ وفي قاع الحبر يغرق الحرف ماءه الذي ارتواه العطش، وأستغفر أسف السؤال القديم/ الأخير على منضدة الأفق حين الرحيل يستوفي شكل الحيرة والحنين معاً، ودونما تضميد للجراح.. دونما دموع للأحزان .. دونما أنين للألم، تتفرط تسابيح الشعر مدوية لصداها.. وترده تحت سقف المواعيد المؤجلة :

**ومستقبلا كله يصبح العمر**

**تعطيه تلك المواعيد**

**ماقد تبقي عليها**

**ولابد من ألف أن**

**ثم إن**

**تلك أشياء**

**لابد منك .. ولابد منها.**

ويتجلـــى سراب القول حين يلمس سطوح التهجي .. أول الحــرف ومـــا تبقي من كلمات ومعاني صماء، تعتنقها شهوة الــروح فـــي سكر تخبطها.. رغبة في الوعي / اللاوعي الذي يسيطر على منحنى اللفظ في انثناءه واستدلال المعني في يتمه.. ليرصـــد الشاعر انفعالاته الإنسانية نحو الحلم، الموت، الغربة، القلق..، ويتردد الصدى في قاع العتمة فاسحا للحنين أن يستذكر المواعيد وإن بخلت المخيلة وراوغها النسيان :

**فيما تذهب تلك الشمس**

**وتبقي شيئاً ما ، تعنيه**

فيما يظهر قمراً آخر
كانت غربته تخفيه
فيما يشعر قلب ما
بالعمر الأول لا يكفيه
لما يحتاج التشبيه إلى التشبيه
يغرب تيه، يشرق تيه
ساعتها يتجلي زمن من عيناك
أموت به،
كي، أبعث فيه..

[ . . . ]

للنصوص إيقاعاتها التي يجيد الشاعر لغة همسها، وترددتها،.، ولا تخفيها يقظة الضوء/ ( وتبقي شيئاً ما ) ولكنها لا تبقيه، فهي تبدده على سرة الجهات وتحتمي بخاصرة الزمن حين يتجلى الفيض من عينها.. وللشعر عيونه التي تقرأنا ( الآن ) وفي تيه السر بين لحظتين ( الموت /البعث ).

ويصير الإنسان وهو يعارك الحياة.. وجبة شهية دسمة للهموم/ همومه التي لا يشاركه فيها أحد.. وكأنها سر الاحتفاظ بالهْم/ وإذا كانت الهموم من صناعة الفكر وإبداعاته المجوفة في حلق الـــنطق/ فهـــو يـــستنطق آثارها ودلالاتها وتملكها بما أوتيت الحكمة من طمأنينة .. ( وذاك هو القارب السابح باتجاه الشمس ومـــن لا يجد على ظهره مكاناً فلن يرى النور أبداً !! )، وكأن الحكمــــة القديمة تشهر سرها في مواجهة التجربة/ وإن لملمت أطرافها قيد الفرار..

**الزمن الحر**

**حلمان له**

**هذا يتحقق في تعب**

**هذا أبدي كالسر**

**أمس وغدٌ، وجهان لحاضره المر**

**يتراجع ، يختار ، يفر ؟؟؟**

**سجنا ، هل ثم شبابيك ؟؟؟**

**غرفتي هل ثمة من بر ؟**

ومــن سلة الأيام، وأرفف التواريخ وأرشيفها المعلق علي حــبال النسيان، نسحب ما علق في الجب.. مثل تلك الظفيرة.. وقبل أن تاهت قافلة إخوة يونس../ فتصدعت الذاكرة على سياج من حزن / أدركه الشيخ وقاله للبحر حين علق بسر المعصية..

**وأنا افتشُ عنْ عيون اللفظ**

**أفتحها على صور تفاجئ،**

**لا تعاد،**

**وعينان الهوى بهما تفاؤلهُ السّوادُ**

**عينان من حُلم،**

**وعينان حرمتا المباح**

**وخافتا حرقَ الجراح**

**وقالتا لليل لا ترحلْ،**

**سترجعُ شهرزاد**

**فالسندباده..**

**آخر القصص التي خفيت،**

**لتكتّب إن تحررٌ سندبادُ..**

عينان ملحمتان، تتنظران

واللغة افتقاد .

ويغتـــسل بلهاث الوجد / والمسافات تتحسس وطأة الجسد فوق أنامل طينها.. تلك مسبحة الكلام الذي يحين قوله من أفراط الـــبوح/ مـــن وجع الشهوة / من فيوضات التفويض ( بالقول ) والسؤال يقظ بما تأوهت العبارات المجبولة بفقدها..

يا شيخ طريقة ما أرجوه

أثمة حقاً من يرجوني

المنع يعلمني أشياءْ..

والوجع تجاوزني لسلوكي

والإعياء..

مسبحتي تبحث عن

قلبي

وأنامل تسبيحي جذلي

غفلت في العدْ

والورد تململ من:

وقع اللا ـ ردّ

وجدي لجِمالكَ لايكفيه.

[ . . . ]

الــشاعر يــؤرخ انتماءاته لنصوصه ومكابداته../ ربما تمــنحها ترف مهيب ينزع عنها ( صقيع الروح )، ويدونْ لها تــواريخ ميراثها الأبجدي/.. قراءات على كف سندبادة، تتزاحم علـــى راحتها خرائط الحزن والغياب/ أسرار الورود وأحاديث الــريح/ وبين حفيف الأجنحة ومسامرات الوجع../ وعند حدود تواصلها وبوحها..، نقرأ ما حضر طارئاً..

يأيها الزمن الذي احتاجهُ

لحقائقي، للوهم للألغاز، للماضي

ولا ، لا يُستعادُ

ما للتذكر يستفز

وللتناسي، شوكة أبداً قتاد

صورٌ أنا فيها السّماتُ

**معالم رسخت تقول :**

**أنا المنازل والبلاد**

**هذي انتماءاتي،**

**وذا شوقي،**

**فأين هي القصيدة ؟**

ومـــن صـــحوة لا تطيقها ( جذوة ) التعاويذ، والأحلام، وتـــراتيل الفجـــر التي غادرت مهب الكلام وأستوحشت مآقي السؤال، ( والعين تغض الطرف ) مما اعتلاها من بريق/ بعيد/ مديد/ مارق عن سطوة الضوء !!، نعيد رصفها قراءات وحنين ودفاتـــر وتلويـــنات .. وربمـــا أهازيج ../ تارة للفرح وأخرى لملاحـــم الحزن وإن ظفرت بكل ما اشتهت العين حين أنطفأت رؤاهـــا وأسدلت ستائر جفونها على تلك القراءة / أو ربما بما تيسر لنا أن نقرأه على كف سندباده.

[ . . . ]

من غير احتمال .. دونما اعتذار عن بغتة ( الرحيل ).. مـــن غير قيد .. دونما تأوه من عذابات/ الاستبداد الذي صنعته آلة الجهل ../ جينات الفساد ( فيهم )، أولئك الذين خسروا وما ربحـــت تجارتهم، أننا نشهد على خسارتهم ونشهد علي زيفهم، وعمق بلاهتهم.. كيف لهم كل ذاك الكذب / الرياء / النفاق ..!! كيف كانت لهم كل تلك الجرائم / والبطش/..!!، وكأنها أساطير للخراب توغل في غيها وظلمها وطغيانها..

**والتواريخ ملأى بشعب يموت**

**وشعب يكاد**

**وكل المنابر ملت مواعظها**

**والدعا .. رحمة الحي أجدى ....**

**بأي المفاتن تبلي السرائر**

**ولداتنا الشيب جاءوا**

**وماتوا ... ولم يعرفوا بعد**

**ما سندباد !!!**

يتحـــسس قلــق الأشـــياء من حوله شعراً، ويرصد أسئلة العــشق / التي غادرت جداولها.. ويستبيح ما تخفي منها/ حين الإجابات ( تنثني ) عن غايتها ( بعضاً من الوقت ). وإذ تدركه علامــــة التيه وراء الظمأ / السراب/ العطش/ حنايا تفيض بما حقنه في نبضها من عبارات/ ونصوص تعيد بناء تصور للعالم من حولنا/ بكل ثراه ووحشته/ بكل سطوته وجبروته إعادة بث لاختلاجات الروح في شدوها :

**فسادُكَ زادُك، فأشهد عليهُ**

**وعزتُّك الإثمُ**

**فأنزع إليه**

**يداك انتهاءُ الجناحين في الطير**

**ليلك لعبته الصبح**

**والحلم سلسلة في يديه !!**

...

ويـــشترط السؤال أن يعلق تعاويذه في كل استفهام وعلى دفـــة الأفـــق ثمـــة ضياع / ورجاء. وسارق الأحلام يعبث من

ســـخرية الوجــود.. وحدها التعاويذ ميراث وعينا الزائف وما تخفي الصدور!!

**قبل انطفاءات هذي المرايا**

**انتفي بالتعاويذ ما في الصدور ؟**

مـــا تتــركه الكـــتابة من أثر وحفر علي ذاكرة الزمان/ في ذاكرة الأجيال القادمة/ فهي في ذات الزمان تعري مرحلة / دونّها الـــشعر/ الـــنص وفــضحت سيرة ( الحياة ) وما اتصل بها من توصـــيفات وحقائـــق ومواعـــيد ودمـــار وتبدلات نعثر عليها في التجارب الإبداعية التي ستعيد الأجيال ترتيبها وقراءاتها وتعتمدها الأوجـــاع وسلالات الألم الذي واكب نزيف الشعر / عندما يمرون مـــن هناك / عندما يبتهلون هنا !!! والشاعر لطفي عبد اللطيف، يمنحنا هذا القرار فقد ( همتْ بالشاعر أشياء قد هم بها )، ويحترق الخطاب/ المتخفي/ الموصد بابه على ( وطن ) تعتقله الخيبة..

**لا وطن الآن ولا منفى**
**والسجن الطين، ولا شباك**
**عنوانك في الحلم الملغي**
**بقرار ما..**

طرابلس2006

# الأزمنــة حــافيــة ..

**على حافة القراءة لمجموعة محمد بركات**

**( الأرض في مكانها )**

**[ . . . ]**

محمـــد بـــركات يقـــايض الأزمنة بالمكان، فالأرض في مكانهـــا..، ونحن التائهون خلف كل تلك الأغشية، وإن تلونت وتـــباعدت وتناحـــرت، وكلّ يبحث عن سيرته الأولى، و رؤاه الأولى، ولحظته البدئية، وأن بدت كالحة في الغياب..

**" الليل سقف غرفتك**

**وأنفاسك**

**غيومه الخجولة ،**

**هذا السقف سراب**

**أحلام**

**تنتظر دورها "**

ويوفـــر لـــذلك الغياب مساحته داخل الحلم، ويشحن من التفكير في السراب الذي يغلف أسطح ( غيومه )، فتغريه لعبة الدمج والاستلاب للعناصر في تكثفها.

" يحدث

أن تجلس

إلى جانبنا

تلك المسافة

الفاصلة

بيننا "

لعبة المفارقة هي الأخرى، تتيح للشاعر بأن يغادر ظله، بحثاً عن أزمنة شريدة، غافلة عن مداراتها، و في غفلة كل ذلك ينتشل سلة الظلمة ما يبيح القول بأن الشعر هو أنسنة الكون../ الموجـــودات../ بأن الشعر أنسنة الزمان/ المكان، أنسنة الحياة والمـــوت، وإن لاحـــت الصورة قاسية وضاغطة أو مرنة حدّ المكر الذي يراوغ التحول :

" اللعبة

التي تنتقيها

جيداً،

هذه اللعبة

حين تتحولين

طفلة

ماكرة،

هذه اللعبة

حفظتها..."

ويكـــدس كومة إجاباته حافية عن أي سؤال، وعن أي انقطاع يعيق خطوها، وأن تعلثم قيد الحرف / قيد استفهاماته القديمة.

" أسـكن قمصانها

........

القديمة فقط .."

ويعيد رصد مارثون المطاردة، لهواها، لمداها، لفكرتها، فهو القابض علي لحظته الشعرية دونها.

" أقفل الشمس

أذا أقفل النافذة "

.........

" تعالي

إلى هناك

حيث أجالس

خارجي

مثل فكرة

وهات جسدي

معك..."

[ . . . ]

مـــثل فكـــرة/ لا يـــرتديها المفهوم، فكرة/ لا يطالها القول..، يصفر خارج جسده ويشطح بلهيب العبارة، ويدور عـــن قلعـــة مفـــرداته وإن خذلته الأزمنة بأنينها، وآهاتها خارج المعنى.

" من أخطائي

تحوكين ثوب

هذه الوحدة..."

ويعُــيد رتــق المــسافة/ الزمان، حد الغياب في فجائية الحضور../ حضورها المعلق في كل الجهات، والصفات.

**" أرسل لك**

**غيابي**

**إذ أقول ..**

**سأتي فوراً..."**

جاهــزية الغــياب والارتماء في متاهاتها، يقطع أوصال المسافة من جهة مغايرة لما هي عليه/ رتق وقطع/ ويقف وحيداً في مغارة مولعة بالذكريات وانسحاقها في دوامة النسيان وتحت وطأة رحى ( اللغة وسيمياء العبارة ).

**" تلك الأفواه**

**التي تعيش**

**في أذني**

**تعض**

**تصرخ**

**وكأنها في رؤوس**

**أصحابها ...."**

يكـــاد السمع يحترق، والبصر تتنفسه الظلمة في عتمتها، وفي جوف المعني يستوحشه الغياب.

[ . . . ]

نصوص محمد بركات، لا يذكرها الصدى البعيد، وكأنها من جسد الضوء تحيك غطائها.

**" أنا لم أكبر**

**الأيام تراكمت فقط .**

**لبست رجولتهم**

**فوق جلد طفولتي .."**

ويؤجج الدوي لصوت الصراخ/ والسمع كهف الأذن حين يجـــردها مـــن المخيلة..، فهو يواري صوتها../ لغته أم زمنه، ذكـــرياته أم حنيـــنه.. وحـــين تغمض الظلمة جفنيها على جسد الغياب/ الليل.

**" صرختك**

**التي أغمتها**

**سالت**

**على رقبتك.**

............

**بحناجر المخيلة**

**بحناجر**

**أخرى ،**

**صوتك**

**خفيف كغياب/ إذ يخرج من التلفون ..."**

قافزة على طاولة الحلم القديم/ الذي هيأت له الذاكرة أفق يتضأل، ومدى يخسر، وهيأت له الفكرة استطالة تمدد، وحفرت شـــارتها علـــى وسائد نومه..، وبين فكرة وذاكرة، بين مخيلة وحدس، بين تمدد وانكماش، بين انفلات وانحسار..

تـــبحث نصوص محمد بركات عن تميزها المراوغ للعبة ذاتها التي صنعها ذات مرة/ حَلَم بطائرة ورقية .

**" أحلم / بطائرة ورقية**

**أسرقها / من ذاكرة طفل**

**لم يحصل عليها ..."**

عــند تلــك التي يهيئ لها النص مخططها وتمركزها..، ويرســم لهــا أثــرها وتيمتها..، وينحت لها شفاهها ويلون من عذاباتها نزقه وترفه وملاذاته الشهية للكتابة / للشعر..

**" أتظاهر أن / هذه الذبابة**

**فكرة...**

**فأمسكها .."**

ونحن نتوغل مع/ في أفكاره ونتخيل نصوصه وهمًا مستحيلا فــصلّناه على مقاس أحلامنا التي لا تكتمل/ لا تجئ..، وعلى مقاس احتمالاتنا نهيئ لها دفاتر القبض على نزقها وفيوضها.

**" تحت الغطاء / بعد منتصف الليل،**

**بلا سيارة / والدكان الأقرب**

**يبعد كيلو مترين.**

**من فتحة / في المخدة**

**يتسلل حلم / الشوكولا / إلى فمي .."**

وكأننا وأحلامنا كلما كبرنا تزداد توغلا في الابتعاد، وكلما ضاقت المسافة ذرعا من سطوة الليل، وبالظلمة تزداد تملصاً من خطوتنا، ومن قبضتنا نوفر لها عتمة جديدة ..، نلاحقها حلماً ذائباً

في فكرة التسلل خلسة والمباغتة لشفرة السطو..، وعبر نفق آخر يتــشكل مــن شـــدة الـــتوغل في متاهة مسنودة على ذائقة اللغة الـــشعرية/ وحدها دون ذائقة../ ويزداد عبق المسافات والأمكنة كلمـــا تراكمت السنوات في شهائد ميلادنا، ونكتشفها صدفة وقد حفرت تجاعيدها على وجوه جداتنا وأمهاتنا وصقلت سطح المرآة بغزارة البياض الذي اعتلى وجهنا رأسنا ..

" حذاء

وإسفلت

ومدينة

بيتنا

ياقريتي

حذاء

وأسلفت

ومدينة

واثنان وعشرون عاماً..."

طرابلس 2006

* * * *

# جدار العتمة .. الأبوة الضالة !!

**على حافة القراءة للمجموعة الشعرية الابوة الضالة :**

**للشاعر السوري لقمان الديركي**

**[ . . . ]**

**"وما حمل ساعةٍ في معصمه**
**وما علقّ في عنقه زرداً**
**وما نقش على جسده وشماً**
**ولكنه مشى في الشوارع المزدحمة**
**كعلامةٍ فارقة..."**

يفتح لقمان الديركي قنينة الحبر مائعاً ليستظل بلعبة المفردات والحروف في انسيابها وانسكابها لافحة، وملطخة بالإلغاء..، والعلامات متاهة للشكل ونفياً رحيماً للزمان والجسد / وأن ومضت المفارقة / العلامة كسياجٍ للفظِ وحجابٍ للمعنى المندس خلسة وراء الصفحات البيضاء:

**"كنتُ أمشي إلى خارج الإطار بألواني الطبيعية..."**

وحين يطل الشك كوجهٍ آخر لليقينِ، يتنفس الوهم صورته الأخرى، ويكون إدراك الوهمي ( تجريد كامل عن كل غاشية ـ حـــسب عبارة الغزالي )، وحين ( الصورة الخارجية لا تحمل المـــدرك بل مثال منه ). حينها يكون الرتق للصورة/ الملامح حالـــة بحث في وجهٍ آخر لا ـ نكونه ولكنه ملتصق بنّا، يربكنا فـــي حيرتنا وبين تلك التوهمات يغلق لقمان أفقه ويسدل غيابه على معنى الخسارة وأن فرَّ إلى غير مكانٍ، إلى غير وجهةٍ:

**"سأغلق النوافذ جيداً**

**ولن أفتح الأبواب**

**سأرتق شقوق الجدران،**

....

**لأنني أخاف**

**أن يدخل الهواء الذي يتنفسون**

**منه إليّ..."**

ويـــشكّل الجدار امتداد منعزل وثبات للموجود ( معتقل ) والهـــروب إلـــيه يأخـــذ منحى متعدد الأوجه ومتنوع الدلالات والأبعاد ( الجدار ذكريات، الجدار فصل وعزل / الجدار حنين

/ الجــدار اتقـــاء / الجدار ملاذ / الجدار شاهد / الجدار أثر / الجـــدار حماية / الجدار معتقل بارد / الجدار جسد ... ) وعند الديركي الجدار اختباء عنهم/ منهم..، الجدار ظهر واتكاء:

**"أبحث عن جدران**

**أختبئ خلفها**

**وأبوابٍ أقفلها على نفسي.."**

والجـــدار أيـــضاً أنـــين الأزمنة وحرقة الانتباه وانطفاء الهواجس وأن استطال مداه، فهو أيضاً حارس العزلة وما خلف الجدار سوى ظل العتمة.

**[ . . . ]**

العتمة جسد الظلمة والمحملة بالخوف، المحقونة بالرهبة وبكـــثافة الأشـــياء وتراكمها في غفلة الأمكنة وغفوة الوقت.. وتـــسقط الظلمـــة في عتمة الألم/ والفقدان/ وكثير من الرغائب تتوسد جسد العتمة وتلوذ بها غطاء أخرس عن غربةِ الاحتراق/ وأُلفة الوحشة .. التي لا يبددها إلاّ ضوء المعنى:

**"في عتمة الليالي**

**أنا الظل الذي سيمشي خلفك**

**وقد قتلته الظلمة..."**

وإذا كـــان القـــارئ يرتهن للنص، فهل يرتهن الكاتب لـــسديم العبارة/ الأنا/ الذات/ الموضوع/ القلق/ الحيرة .. أمْ أنه سوى رهينة لظلهِ في عتمة النص/ القول..، وذاك الآخر/ القارئ/ ليس سوى مرآة اختفاء لرؤيا مغمضة على ( جمالية لا تـــرى !! )، مـــتوارية بانعكاساتها / تلتهمها طاقة الجسد/ اللغـــة..، وفي علاقة تآلف/ وتنافر وكأنها قطبية ( المخفي/ الظاهر )، ( الحاضر/ الغائب )..:

**" نفسي .. من أرى في المرآة**

**وإذا وقعتُ من طابقٍ عالٍ**

**لن يخاف عليّ أحدٌ سواي**

**وإذا سقطت**

**فلن يلتقطني .. سواي !!".**

معادلـــة كالحـــة لـــربح الخسارة، وحياكة قاسية لمؤالفة المتناقـــضات بـــين فقـــدان الذات/ الآخر، بين خسارة المتاهة واحتساب الجراحات..، ولكنها تفضح سيرة العشق/ العطب/..،

ولأنهـــا حالة اندهاش تتجاوز هوة الألفاظ وتناثرها على أشواكِ عالقة في حلق المفردات/.:

" لأنني إذا متّ

لن يبكي أحد عليّ سواي

وإذا أردت الموت

فلن يقتلني ... سواي .."

تعلّــق/ تــشبث بالحياة حدّ الموت والهلاك حالة شغوفة بالــذات وهــي تنسج خرائط الخسارة..، ولتفكيك المصوغات الجاهزة عن الحياة/ يحضر الموت كتيه يغرف من عبق الألم وكــأن ( لا شــيء يجعلنا كباراً سوى الألم )، ويربح النص أزمته بين الأنا/ الذات.

[ . . . ]

وخلف ذاك الغبار الذي يخلّفه ( الشاعر ) أثراً ومفارقة / تستجدي العبارة قائلها حين يهّم بلفها حول عنقها وحين تحترق بفــيض إنعــاش، ويستغيث النص في حركته الدائرية، قبل أن ( تدوخ ) العبارة غاشية في سفرها ومعناها:

" أنا الراقص المرتبكُ
الذي نهض من أجلكِ ...

...

أنا الراكب الذي يرتجف خوفاً ...
أنا العود الجاف...
أنا الشاعر الذي يكرهه
الشعراء والعشاق
أنا العين التي ... لا تنام

...

أنا الابن الضال ...
أنا الطلقة الرحيمة ...
أنا دم الشعراء المرميين على الأرصفة ...
أنا عود الثقاب المحترق ... "

هكــذا تــسيل ( الأنا ) في ممرات الاجتراح ومن فرط الــتوجس/ مــن اغتصاب الممكنات السابحة في بحيرة الركود والــصمت والعزلة.. ومن خذلان الإجابة وأن رحلت على كفّ

الــرحمة/ كــفَّ الاحتــراق/.. وإن ارتجفــت/ حين لا تسأل الرصاصـــة عــن صـــاحب الجسد الذي اخترقته.. وحين يكفّ الجسد عن الشطح تذبل شجرة الحكمة. أو هكذا قال الحكيم في زمانه المنفلت " كلما شطح الجسد، أينعت أنوثة الحكمة. !! "

[ . . . ]

إجهاض العبارة دونما نفاس/ دونما مخاض للشكل/ دونما أنين.. وكأن الشكل معتقل العبارة، وكأن الممنوع جلاّد المعنى بمــا رحــب من سلطة مسروقة من دفاتر ( الحكمة )، وينسّل الــشاعر عن كل تيه خارج الزمن وأن تلعثم القول تحت الشفاه الموصدة دونما ( نبس ):

" وتركتُ لكَ ... نعومة الفراش

وأخذت معي قلق نومي ...

تركت رقصي النادر

وأخذت كآبتي وصمتي ...

تركت حرارة المدفأة

وأخذت دخانها والرمادْ ...

...

**تركتُ الكتب التي تكمل المشهد على الجدار**

**وأخذت منها رعب الحقيقة .. "**

أينما وليت وجهك دائماً جدار/ جدران وأن صعدت تقارع نواقــيس السماء وبوابتها فهي أيضاً تستحي من خسارتها حين الغيمة والعواصف تغطي عريها..:

**" وأنا دونكِ ودون مظلةٍ**

**لا أتبلل تحت أمطار الشتاء... "**

يــسد الفجــوات والطــرقات التي تعبر إليها، والمسالك والممــرات التي تؤدي إليها دونما ترف، وخارج الاستعارات المــباحة يلــبس معطف ( ضّال ) خلف غفلة الجدار الموصد علــى بــاب فراره/ عشقه/ ولهه../ وكمن يسّد قنينة محبرته ويتــرك ريشة الكتابة تلهث في دوامة الرياح البعيدة.. وحيث يــصير دوي الهمــس موغلاً في الزمان العنيد، الزمن الغابر لذاكــرة مديدة والعابر على صهوة الظلام..، هكذا يحدث بأن يكــتحل الغياب بالفجيعة.. والضوء ليس سوى رصيف لم يبدأ الخطو بعد:

**" يلمعُ في الظلام**

**ويأفل في الضوء**

وحيثما كان

ستجدينه محاطاً بالكراهية

وتعبرين.. ".

يهيئ الشعر لعبورها خلف الطرقات المؤدية إلى ابتعادها../ الأزقة الضّالة في غيابها، والأمكنة الطاعنة في نجدتها والأحلام البائته في انتظارها.. والصدأ الذي يأكل أنفاسها في كيمياء الورود والمقابر، وفي أنين الكأس وحين تهرم الذكريات وتشيخ، يغلق دفاتره على أصابع نداءاتها، ويلوح في الأفق جسر لا يفضي إلى أي اتجاه:

"في رفّات شعركِ

وبين أنفاسكِ

في الملاهي والشوارع

في المقابر

في ذكريات المسنين

وأنين الرضّع

ودفاتر المراهقين...

في كؤوس السكارى

وورود العشاق

وتقارير المخبرين...

هُوَ... هُوَ..."!!

وكأنهـــا الغائـــبة فـــي ( الهو.. )، التائهة في تضاد، ووحشة الأمكنة وكراهية الاحتمال..، والترقب خارج الزمن، ( وخلـــف قضبان السجون/ ستلمحين ما يظهر من وجهه/.. وتعبـــرين/.. )، ويغـــادر الشعر أنظمته المختنقة، ليتنقل من حالـــة إلـــى أخـــرى، ومن صورة إلى سطح ومن مكان إلى زمـــان.. يلـــوذ بحـــضور النص والذكريات المسيجة بألف احـــتمال/ والانتباه ريح للاحتضان بين دفتي البياض، وأيضاً الـــرياح في هلعها خيانة للكون وأن ( صفّرت ) تحت غطاء محجّـــب أو فـــي حلـــق أنبوب سافر.. وتحت الغيمة يتمرد الشاعر على ضلاله ويمسك بحوافها الدائرية:

"أنا الحنينُ إليكِ

والعواء الحزين

...

مررتِ

وكانت آثار خطواتي

تتألم تحت قدميكِ.."

طرابلس/ فبراير2006

# أثـر لخطواتِ متعثّرة!!

**استنطاق أثر الخطاب الشعري ( لخطوات أنثي )**
**للشاعرة: ردينة الفيلالي**

**" الفكرة التي يكونـها الإنسان لنفسه عن قدراته الشعرية إنما تستجيب إلى الفكرة التي يكونـها لنفسه عن خلق العالم .. "**

**جورج كانغليم ( عالم ما لارميه – الخيالي )**

[ . . . ]

في هذه القراءة الافتتاحية، سأحاول أن أستنطق الخطاب الشعري، والذي احتواه إصدار ( خطوات أنثى/ للشاعرة: ردينة الفيلالـــي )، وســيأخذ الاستنطاق بعداً احتفائياً بالنص الأنثوي عموماً ( مع اعتذاري للتجنيس ). والاستنطاق يبتعد وينزاح عن / عــند المناقــشة أو النقد الممنهج، ولكنه يصوغ شكلاً للحوار المحتمل، كما أنني لا أناقش النص [ كمحتوى معرفي ]..، لأن رصــد المحــتوى سيتجاوز حدود الصورة الشعرية التي يمكن تحديدها ( أو تصورها ) - كإعادة إنتاج - أو يمكن أن يخلّفها النص وراءه كأثر ( أركيولوجي - فني- جراحات – خرائط -

غُـبار.. )، كمـا يـتجاوز رصدنا للاستعارية الممكنة للتمثّل والمماثلة لحرية النص.

( مـع شـمولية المفهوم ).. وعلى اعتبار أن المحتوى يشكّل مكوّنا وحيزا تكوينيا في حدود تمثّله، أيضاً لسنا بصدد أو إزاء تـشخيص حالة علاجية للبنية المفهومية باستقلالها النسبي أو المتكرر ـ بتحيزها للواقع أو المجرد.

ولكنـنا سـنحاول الاقتراب للتداخل مع النص بافتراض ( قابلـية التواصـل ـ إمكانـية الـتماثل ) مع اللغة/ الخطاب وقابليـتها لإنتاج إيماءات تعبيرية، وهذا يعني أنني لا أُشير أو أُحـيل، ولكننـي فقـط أستنطق ( اللغة المنطوقة/ وليس اللغة الإشارية ).. استنطاق أنا الخطاب/ النص.. أنا الكتابة ( وليس باسـتنطاق أنا الكاتبة .. )، وهذه التحولات والمقاربات تحتمل قابلـية التماثل/ التواصل كأدوات أو وسائط ..، وهاته الفرضية تـصوغ يُتم إخصاب القراءة ( أوعُقم ) خارجا ومتخارجا عن محدد الخطاب الشعري بارتكانه خلف أحجبة الصمت!!، والأنا المفترضـة للخطـاب، تـشكل الرؤيا الارتدادية للأنا الناطقة ويـصوغها الإيقاع ( بالمفهوم الفيزيائي )، إذ تحمل طاقة الأنا الناطقة تصوراتها ومخيالها بتناسب عكسي مع الأنا المفترضة، ليرسـم الخطـاب ارتدادتيه في صعوده وهبوطه ونزوله ليس

بتنّزله، في تشظيه وانشطاره في تحسسه ( الحس )، وحواسيته ( الحواس )، وكأنها حالة مطاردة ما بين (الوعي - الشعور ).. أو هكذا، فهو لا يتجزأ كأنا ناطقة (قولاً وبوحاً)، وأنا ناطقة ( صــمتاً وسكوتا ) .. وكأنها اجتراح الأنا وتضمّنها لــ( أنا ) أخــرى، الأنــات المتشظية عن الأنا( في مفردها ويُتمها )، وهي حالــة تكرر وتناثر وتناسل ( للأنا )، خارج التصور السيميائي والجمالــي للــنص الشعري )..، لتطل الأنا وتسبح في محتوى نصوصها: -

( أحــبك.. ولكــن/ الخطيــئة/ راهبات الشرق/ الشهد المريــر )، والــذي يعيد استنطاق الحواس ويندس بين شهد المرارة ومرارة الشهد :

**أعود أنا وجرحي يكسوه النزيف ..**

**أنا التي أفنت العمر معك بكل الفصول ..**

**أنا التي أحبتك علمتك ماذا تقول ..**

**أنا أتساقط ألماً كورق الخريف ..**

**وأنا .. أنا أبحث خلف الأثر ..**

**أمّا أنا شاعر مبعثر في صحراء العمر ..**

ويــستمر البحث عن هوية مفقودة للنص، عبر المجاهرة بالنداء ( خطاب المنادى )، عبر حضور الجسدي/ الرغابئي/..، كمــا أن حضور الجسدي والجسداني يمر عبر أيقونات الرغبة وأنابــيب اشتهائية وبتحركات ( ايروسية ) التي يضمّنها النص كمحتوى..وكمتن..و يحضر في حيز آخر كعلامة..، إذ تنزاح عن الجسداني ( كسيمياء ) وعن الجسد ( كيلغرافيا ):

**وأنا وحدي أعشق لهيب التغيروجمر النيران ..**

**وأنا ، عبدٌ، يعلن الطاعة والولاء ...**

**لِمَ أنا دوماً شريد البال وحبيس الأنفاس ..**

**[ . . . ]**

ومدونـــة الاســتنطاق التي أحاول إقامتها واستحضارها عبر القــراءة ( كقــارئ مفتــرض .. ) ليست رؤية نقدية، بقدر ما هي محاولة ( مؤانسة نصية )، من جانب الافتقار النصي لإنتاج صورة ذهنــية مــوجهة ( تجريدياً ـ حسياً ) لجعل المعرفة ممكنة ويسكنها الاحــتمال والتنــبؤ في إنتاج الصورة وتحميلها طاقة عشقية وفيضا تماهيا ويتحول فعل المماهاة ( كتماهي )، الأنا/ مع أنا أخرى :

**وأنا.. أنا أبحث خلف الأثر..**

يـــستحث ( الأثـــر ) تجلـــيات ( الما قبلي ) وأن تشكّلت واســـتنطقها الـــنص عبر لغة الجسد ( لترويجه )، كما أن حالة اليُـــتم الـــشعري هي حالة سائدة في أغلب النصوص الشعرية المعاصرة وربما تكون سمة سائدة.

واشـــتغال الأنا الناطقة لاستحاثة واستنطاق واستجلاب.. الصورة ( عبر الجسد )، واستلاب الأنا هو في جوهره استلاب الوجـــود المجسّد..، والأنا ليست تماهياً للذات أو صورة واقعية عنها ولكنها تظل تتكرر كصورة تخيلية عن الأنا ..:

**إننا زرعنا في سماء الحب ألف غمامة..**

**وجلّ الخطيئة أننا اثنان..**

**تلك الحزينة هي أنا..**

**أنا التي تمتص غضب الآخرين..**

وعلى اعتبار أن النصوص الشعرية ( خطوات أنثى )، تأخـــذ منحـــى التزود بالصورة الاستعارية ( للأنا المفترضة– الغائـــبة ـ المحـــتملة ـ المتكـــررة ) وكأننا نقف أمام المرآة المـــشروخة لجـــان لاكان، ولكنني سأحاول استبعاد أي تأثير جسداني عبر تحييد الصورة الاستعارية، لاخطو باتجاه فضاء

الـــصورة التـــي يتـــركها النص كترميزة ( أو تعويذة )، لأن خـــرائط الكـــف لم تعد صالحة للقراءة والفناجين هي الأخرى تهمـــشت بـــين ســـطوة العبارة ومطرقة الفكرة .. وصورتي مبعثـــرة بـــين مرافـــئ الحلم ومرايا الروح..، إذ إن الاحتفاء للرمـــزي ( الـــصوري ) خلف العبارة يولد من انهيار الشكل ( الـــناظم )، ولكنه سيُبقي على النص ( كمحتوى ) افتراضي مفتوح لقراءات متنوعة.

## [ توهّم ]

واستبعاد الاستعارية على اعتبار أن الصورة الاستعارية لم تعد صالحة لهذا العصر وهي أقل ضآلة من حدود تصوراتنا وإن جـــاءت علـــى شكل ( توهم ديجيتالي ! )، ولم يعد النص متقـــبلاً ( أو رؤومـــا ) للصورة الخيالية التقليدية والنمطية..، والتي تترك أثرها في الجدار المعرفي قشريا وباهتاً و.. كما أن الصورة الاستعارية كبّلت أفق الحس والشعور واليقظة والرؤيا الاستبـــصارية لأزمـــنة طـــويلة، وقد حان الوقت لوضعها في أرشـــيف وألبوم الطوابق الـــ( تحت أرضية ) لتصوراتنا، وقد عبّـــر عنها المفهوم البودليري لتأخذ منتهاها مع البارتية ( نسبة إلـــى بـــارت ): صـــفرالكتابة ـ لذة النص ـ هسهسة العبارة،

وتتجلى كصورة حالكة ومعتمة ومدلهمة مع انهيارات ( نص ما بعد الحداثة ) !!

[ . . . ]

الترميــز الذي يتجلى منطوياً وينمو بين أحضان ( أنثى العــبارة ) هــو الآخــر يــنطوي بــين ثنايا الخطاب الشعري ( كمغلفــات )، تتكــشف لــنا عبر المواجهة معه في استحاثة لتحــسس اكتماله وتنشيط الصورة لتشكيل المعنى المختزل بين طياته ..: ـ

**أيا امرأة تنطلق على لسانها ملائكة السماء ..**

احتفائــية مرمّــزة للصورة ( الصورة الرمزية ) تدعونا لوضع المقولة الدريدية ـ دريدا، على منضدة الغياب لاستجلاء الحــدود الظاهرانية للنص ـ كخطاب شعري: ( فأنا لا أتعامل والــنص، أي نــص، كمجمــوع متجانس، ليس هناك من نص مــتجانس هناك في كل نص، حتى في النصوص الميتافيزيقية الأكثــر تقلــيدية، قــوى عمل هي في الوقت نفسه قوى تفكيك النص، هناك دائماً إمكانية لأن تجد في النص المدروس نفسه ما يساعد على استنطاقه وجعله يتفكك بنفسه .. ). هذه الدعوة تطل

بـــي على الكوماسوترا ـ وحفلات الزار ـ وإيقاعات الحضرة، لاختراق اللامرئي الكامن في أعماقنا..!!

## [ صفر ]

التوصيف في حاجة إلى هوية ليصبح صفة كاملة ( سائدة أو متنحـــية )، وتأســـيس أفــق القراءات الشعرية على فضاء توصيفي يُحيل النص ويلقى به في الاستعارية ( ويُقاس بالنسبة لغيـــره من النصوص .. )، فتوصيف الأنا الناطقة.. في مقابلة وتقابل / مواجهة ومماثلة / تفاهم وتماثل وتجابه ومصالحة مع الهـــو .. وإزاحـــته أو الانـــدماج فـــي هويـــته أو نبذة بإلغائه وتجاهلـــه..والهـــوية كاختلاف جنساني ( وأحياناً مفاهيمي ).. يستحث ويستجيب لمناشدات ( الأنا )، كرمز ايمائي أو كتميمة عشقية تحمل شفاعة فارغة، ويتجلى رصدنا لملامح التوصيف ( كإشـــكالية هـــوية ـ نص )، وهذه الإشكالية تعكسها ( الأنا ) عبـــر تلاحقها وتكررها وتبدلها وتواترها وتقاربها الوجداني ـ الجسدي ـ النفسي..

والتوصيف للأنا.. يفقد الأنا / أناها/ .. ( وأنا ) النص ـ الخطـــاب هـــي التـــي شكّلت الجدار الوحيد والممتد أمام ( هـــوية صـــامتة للـــنص ) ويمكنني القول: إن ظهور نص

مــستحيل.. مخــتلف.. نص سلطوي .. نص متعال.. نص مفتُعل، يفترض مهما كانت هويته بُنية خارج ( الأنا ) كفعل وافــتعال وانفعـــال، لأنه سيظل أكثر النصوص الممكنة في مــرحلة المـــا بعــديات. فهــل يعني أنه يستحيل إنتاج نص مستحيل ؟!!

**[ 3 ]**

وفي محاولة لإزاحة الغطاء عن النص، تتكشف بين ثناياه صــبغة استعارية وطلاءات زائلة وإن جاءت شفافة في بعض المواقع، وينسحب اللامرئي ويطل المرئي كانفتاح جميل خجول ( متعّثــر الخطــوات .. ) ولكــنه باذخ في مواربته وتملصه ( للقــراءات الانتقائية )، وكأنني أرصد وأتتبع توهجا مجانيا.. فـــأهش بقلمي مفردات الغواية وفي يدي فانوس ديوجين، باحثاً عن إفاضة، مسترشدا بالعبارة الزرادشتية: ( يجب على الإنسان أن يــتجاوز نفــسه .. ) مخلفـــاً ورائـــي نعش ديونيزوس إله التناقــضات، ودمعـــة نيتــشه المنكسرة، وكذا أجراس الكنائس القوطية في ستراسبورغ ..، ولازالت ملامح أوريليا غارقة في انتباهاتي ..، ومن الافتقاد المجزأ ألتقطُ حجر المعنى:

وأرمـــيه في بحيرة ماء راكدة لتترك دوائرها تبتعد عن

مركزها.. / حجر القذف / حجر الرمي / حجر السؤال/ حجر العبادة / حجر أصم/ حجر البناء/ حجر تعويذة/ حجر صامت/ حجـــر أملس / حجر المس/ حجر التيمم/ حجر الرمز / حجر الـــصلابة / حجـــر التماســـك/ حجر العلامة/ .. ومن سيمياء الحجـــر/ الحجـــر هـــو الحجر/ فأرمي مرآة الاحتمال بحجر الـــسؤال في مواجهة الصورة ( ربما صورتي! )، فهل يمكنها أن تشبهني ( هل أشبه صورتي أم صورتي تشبهني؟! )، البحث عـــن الشبه ـ البحث عن الفرادة ـ البحث عن التميز ـ البحث عـــن الـــزمن.. سؤال إنساني، شعري قديم وأزلي ـ صاغته الديثورامبوس ـ والرامايانا ـ نزيف الطمأنينة ـ زغب الحنين ـ التسابيح الأولى ـ ألواح جلجامش ـ أعراس الملح ـ خواء التأوه ـ مزامير الزائر..

إن السؤال الجديد ـ سؤال العشق ـ سؤال الوله ـ سؤال الغـــربة ـ ســـؤال الأســـئلة ؟! وفـــي محاولة لتجديد قراءته، يـــصوغه أيـــروس الخطـــاب وكأن ( خطوات أنثى ) تحمل دلالاتهـــا كي تشوهها وتغرّبها عن/ أناها )، وعبر ( استنطاق المـــسكوت عـــنه )، تستبيح الإلغاء ويحضر الجسد كوعاء أو خريطة طوبوغرافية.. والصورة الظلية للخطاب البصري تأتي

كمحاولة ( جريئة )، للبحث عن الحرية الغائبة وتفكيك واقتلاع ظـــل ( الذكورية النمطي ) ويكتحل الخطاب بإضاءات عشقية متوهمة ومغتربة ( كاغتراب ):

**إضاءات في الروح عواطف صماء ..**

**يحترق النغم في شجن النايات ..**

**[ صفر ]**

الاحـــتجاز الذي يتكشف كأقوال آفلة / وخطاب لاتستعيد الذاكـــرة مـــنه الاَّ الصدى والصورة الظلية ـ ويتجلى كأصباغ ولونيات ( كرنفالية ):

**يجذبني سمرة عينيك...**

**سأناضل من أجل الموج الأسمر ...**

وأمـــام ( الالـــتفاف ) لـــرؤية احتراق الشهد ( كتجريب ) تـــضيع صـــورة ( المحـــتوى )، ولا يبقى منها ملمسها ولاشيء يـــستمر أو أبـــدي ( ... ) إلاّ بما يحمل ( المحتوى ) من معنى ( جوهـــري ) يفيض عن اتجاه ومحتوى المعنى الذي يؤسسه أو يحمله أو يؤسس له !!، وأبدية اللغة تعمل على تحرير المعنى من ( نص التوهمي !! ) ومن كل إدراك آني أو حالي أو لحظي !!.

لــن أجهد النص بالطَّرق على جنباته أو تجويته بغرض تفــريغ محتواه / لتهديم شكله و إفراغه من محتواه أساس أنني أتعامــل مــع النص بمحاسسته أو مؤانسته ونلمس أفق تجلياته وباعتــبار أن الطّــرق في المحتوى ( البنيوي ) .. لأي نص، سوف يعمل على تفتيته وتفتته، تهشيمه وتهشمه، وتهدّمه ليصل إلــى انهــياراته..، ولا تنجو أغلب النصوص أو معظمها من التفتــيت والتفتت، ولو بشكل نسبي، باستخدام تطبيقات وتقنيات الطرق البنيوي ( التفيكيكي )، وانتزاع عينات مجهرية ووضعها تحــت مطــرقة الاختــبار. ( المــا بعد ـ حداثوي )، كما أن اشتراطات واحتمالات اللاوعي تقع في الوعي / أيضاً اللامحدد يقــع في المحدد / اللا شعور في الشعور/ المنطوق يستحضر اللامنطوق..، حتى وإن حدث الوقوع أو الاستحضار ( نسبياً أو جــزئياً )، ومهما كانت بنية النص ( مكممة أو مفتوحة )، فإن اللغة قادرة على تجاوزها واختراقها، وفي أقل الحالات ضراوة تتم إزاحتها ليخرج النص عارياً ومرتبكاً..، ( قميص يوسف / امــرأة العزيــز.. )، وتخــتلط الصورة بين متابعات ( أرخبيل الغــواية ) والمتاهات ( السرية للجسد )، الجسد كفضاء للروح والجــسد ( كمحتوى ) جنساني أم كخريطة إغوائية..تنثني لغته

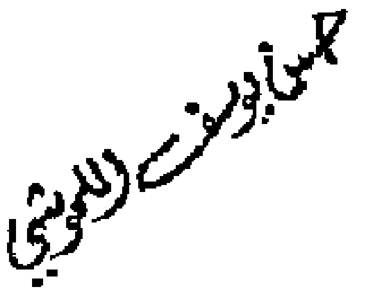
بانـــدهاش العـــبارة وبحراســـة مدججة بالإثارة ..، ومعتقلات الدهشة / تسّرح الوجوه والكثافة المستعارة !!

## [ صفر النهاية ]

مجازفـــاً وعبـــر افتراضات وفرضيات ( خارج التأطير والتكمـــيم والتعميم والتعتيم )، أحاول تخصيب وإخصاب النص لـــيس بإقصائه أو إخصائه..، ولكن ليطل في فيوضاته القادمة كانكشاف وتكشف حسي وكشكل امّحائي/ لا إلغائي..، ولاشيء يرُهبنا غير الصمت!

## [ بداية أخيرة ]

وما تبقّى سوى أن أقول: إن أي نص يحمل تميزه وتفرده في حدود فضاءات اشتغاله وتصوراته وتوجهه !!



# تفاحة نيوتن.. جاذبية آدم

**مقاربة للنصوص الشعرية ( تفاحة نيوتن )**
**للشاعر: فيديل سبيتي.**

**[ . . . ]**

يصوغ من رداء الكلام قطيفاً للهمس، وترفاً للقراءة.. وينثل من وحي غيابها أيقونات مشتعلة وركوة باردة..، إنها حالة انتظار يبدأها مغلفاً بمرآة وحركة مربكة.. وكأنه مع فريدريك نيتشه " الانتظار يفسد الأخلاق ".

**أقلد مشيكِ أمام المرآة،**

**وأضع الركوة على النار،**

**ريثما تعودين..**

وفجأة يستبيح معقلها بين فصلين ( خريف وصيف ) وعلى تقاويم الطقس ونبؤاته يتوسد أنفاسها ويلتحف هواؤها / وهمسها.. وفي نصه الذي منحه عنوان مجموعته الشعرية ( تفاحة نيوتن )، ربما يباغت في سر هذيانه ديناميكا نيوتن:

العطالـــة / الانثروبيا / ... وكأن الحركة مغادرة في المجيء، وذهاب في الحضور.

" الجميع تركوا المكان

جسدي محطات فارغة.

وأنا وحيد..

ودليلي أنْ ثقلاً

يشدني نحو الأرض

...

تفاحة نيوتن/ محشوة بالرصاص "

هاتة الجاذبية دليل الالتصاق والشد نحو الأرض، يُحيل الجـــسد إلـــى تابع لسلطة ( قوة ) الثقل الذي يملأ جسد الكائن ( كينونة الأرض ). طاقة تجلي وفيض عشق / يجدل به سيرة التفاحة والأنثى تحفر هنا جاذبية أكبر من الترف / أصغر من الصمت.. حالة بوح تأتي جافّة / حارقة / كالحة وفي مساحات أخـــرى تحـــضر رطبة وناعمة، يتصالح معها شعراً وينفرها خطابـــاً وبـــين مـــدى ( نطاق ) التآلف والتنافر فهي الرحم / الـــرحمة / الحياة / الغيمة / الفرح / الأمومة / الأنوثة /.. )

وهي أيضاً ( الجوع / الانتظار / العطالة / الحزن / الافتقاد / الخواء / الألم.. :

**" وأنا الوحيد الأقوى في الصراع من أجل البقاء .. "**

حضور الجسد ( في الخطاب الشعري ) يبرز كعلامة أو كعلامـــات مؤاسسة لسلطة عشقية، لتسكن سلطة اللذة وتحركها ( كجاذبـــية / اغوائـــية / اغـــرائية / .. )، وكإقـــصاء خارج المألوف.

وتُـــصاغ كمستند سري قابع بين ثنايا الملفوظ وأن تحرك عكس جاذبيته، وما يمكن اعتماده هنا كفيزياء خطاب؛ تستحث وتستنطق الحاسة / الحواس بإرتهانها للغة / الرائحة / اللذة..

**" أرسل لكن تحياتي**

**أيتها النائمات في الرعشة**

**في رائحة الجوارب "**

ويظـــل الجسد حاضراً في الموت / المقبرة ولكنه ينجح فـــي الفـــرار من عتمة الغياب/ عبر اللغة/ بإثارتها وتخييلها واخـــتطافها خارج مداراتها .. ويضع القبر حد المرآة، ولكننا في ذات الوضوح الذي تخلفه العتمة، وتنسجه الذاكرة كإيحاء

أو إســـناد يجــرح خارطـــة التفاحة في اكثر من صورة وإن اعتقلتها المرآة.

" القبر الذي تشترينه

بسماء صافية

وأقحوانات لم تنبت بعد

تهزئين منه

عندما

تغارين من وجهك

في المرآة

وترتعشين كقلب مذبوح لتوه "

وجمـــيعها صـــيغ يحتفظ بها الجسد في ( اللاوعي )، دونمـــا علاقة بوعي الآخر الذي يقطن خارج الجسد ليراقب حـــركته عـــن كثب وإن حضرت في المرآة كواسطة مقيدّة لحركة الخطاب.

" أتسلل والهواء إلى نوافذ كثيرة

في الجسد

نبترد ونتلاحق

كنحل يطارد ملكته ... "

يكفـــيه أن يتحرر من أي خضوع لفكرة سابقة، أنه التيه الهايدغري، تيه اللحظة في ذاتها وعن ذاتها ويتحول ( الجوهر: ذات ) وفـــي مكمـــن ذلـــك يعلو صوت الاختلاف الشعري في قبضته على الريبة واللاتعيين :

" يكفيني أني أحمل

جسدي،

بعد الآن.."

[ . . . ]

تتمـــثل الصورة دونما تلعثم لأمتلاء رئة الخطاب، وتأتي اللغة الشعرية وارفة تمنح المعنى طاقة تحرر من أي وهم / من أي أثم :

" لي/ كوكبي

أواسيه ويواسيني

لي بضعة أصابع

ترفق بي.

....

وأنت الصاعدة من نفسي

وكلانا المختالان ككتاب قديم

متوحدٌ "

وكـــأن اللفظ وعلى حد ما يذهب إليه رومان جاكبسون: ( اللفظ في الشعر يمثّل ذاته ولا شيئاً خارجاً عنه )، وبين نطاق الانفعـــال والإفهـــام نرصد انتباهات../ وما وراء لغوية سانحة وســـابحة في ثنايا النص، وبين انفعال المتكلم ( الذات الناطقة ) وبـــين إفهامـــية المتلقـــي /القارئ / السامع.. يستنطق الشاعر خـــصوصية وحميمية العلاقة بين الذات / الجسد، وكأن الزمان هو لعنة وجودنا الناقصة :!!

" ساعة الإنجاب/ هي التي تسرّع

الأشياء بقربكِ ... "

" مائل ...

رأسي إلى صدري

ويداي رقاصا ساعة ... "

...

" يقف الزمن على حافة الصورة

يمدّ لسانه

ويرفع أصابع

مشوهة.... "

التوغل في الوضوح والانفتاح على الممكنات في تشتتها وسبر أغوار الموجودات التي تنسج خيوط الشعرية لدى فيديل سبيتي تؤسس لنص حداثوي باذخ، وعلى حدّ دريدا يحضر " الانفتاح باعتباره المستقبل نفسه، وإنه ليأتي منه.. "، كما أن صراع الوجود هو ذاته صراع من أجل البقاء:

" في غمرة الحديث

عن الأطفال

أطفالي سحقوا

في المراحيض

وأنا الوحيد

## الأقوى في الصراع

## من أجل البقاء .. "

ويتشبث الجسد بحضوره المتخفي بجدلية ( قانون البقاء / الاصطفاء الداروينـي ) التـي تتمدد عبر حضور الكائن في الزمان والمكان، طفولته المنقرضة / تاريخه المنسكب على دالة الزمانية احتفاءاً بأعياد التجاعيد / كمرآة لأعياد الميلاد. والمقيد بما يمكن أن تسمح به الذاكرة وطاقة النسيان المتوهجة في ضمورها الى حين.. وعلى حد ما يصوغه صمويل بيكيت: ( إن قوانين الذاكرة خاضعة لقوانين العادة الاكثر عمومية .. ).

[ . . . ]

ويوفر النص انتقالية بين سيوسولوجيا النخبة وسيوسولوجيا الحداثة التي تمثلها الخوارق / واليوتوبيات وكأنها في ذات الحضور ( أوكسا ) تحجب نور الجسد ( ونرفانا ) الخلاص. وهاته الانتقالات ليست سوى حالة استبدال ضجر العيش بمعاناة الوجود، ضمن الحقل المعرفي الذي تلفقه الذاكرة كحرية أو تهرب إليه كمحاولة جريئة لإيجاد تسوية ممكنة بين ( الأنا / الآخر ) ودونما ملامح يمكن اعتبارها أو رصدها على أساس الخضوع لمجال الآخر.

وهاتــه المفارقــات ( الكتــشية ) والتي يعلقها على سترة الخطاب ويدسها في جُبّة النص ( تفاحة نيوتن / جاذبية آدم ) :

**" أنا الرجل**

**أيتها الخاملة...**

**...**

**أنا الأعلى والأسفل**

**وكلاهما...**

**...**

**أنا الملوّن**

**أفرح في الطرق**

**وأغازل**

**بقع ماء في الحفر... "**

وعلى حدّ تعبير دوسوسير فإن : " التعبيرات البسيطة إما أن تكون جبرية وإما لا تكون..."

وكل تلك المناشدات والتساؤلات مثلما توفّر جبرية فهي تمنح حذراً حدّ الاقتراب منها، ومن محاولات استنطاقها:

"الأيقونة المثبّتة

بالغراء

ملأت فراغ الحائط

أثقلت فراغ القلب

لتستقر منسيّة

في كل لحظة!!"

وفي مفازات أخرى موغلة في المشي ولكن إلى أي أين ؟!، إنهـا حرقة الكتابة وجمرة الأثر / الكتابة كفعل كينونة وتحرر وتجـاوز لـتلك الجبرية المدججة بالاكراهات، وبين أن تكون الحرية قدراً / أو تكون اختياراً:

" أريد مساءً متوحداً

مستعداً لأي غرض

يمشي خلفي رمحاً

خرج لتوه من صدر ميت ...

....

سأخرج هذا المساء

لكن إلى أين؟ "

كل ذلك الالتحام والالتصاق/ يدفع النص إلى حقل التآلف والـتوحدّ / وكـأن أكـسجين الضرورة الشعرية ( صورة )، ونسيجه رئة حرية تتنفس اللحظات بتناسلها خارج الفراغ/ ..، نـصوص فيديل سبيتي تمنح طاقة إضافية للمس ما تيسر لي/ لنّا.. في غفلة الحواس، فهو وحيد الغيوم قبل تشكّلها في سحيق الأفـق/ الـزمان/ .. ومن خواء ( أستّل نظراتكِ المريضة../ وأصفع بها كل الوجوه..!! )

[ . . . ]

هاته المواجهة الموصدة على إمكان الرؤية، النظر حيثما تكـون المـرآة ( شحاذة ) أو تسول على حافّة القول، وبصيغة الممكـن البوح به، المستحيل السكوت عنه..، ينشد من عزلته، عزلة المكان ويتم الأشياء دونها،..، وكأنها من ينفث في الأشياء متعـتها وروح تلمـس حواف التعب منها..، وكأننا استقاء من هـرقل وهو ينشد في مواجهة أثينا: "سيدتي امنحيني جزء من شقائكِ العظيم !! ".

خلـف مـدارج الغيم وتحت ستار الظلمة.. وعند متاهة الـضباب، يجد ( فيديل ) حقول تطوف لحصاد العبارة والوقت أصابع للانحناء:

**أصابع قرب شمعة**

**تُراقب ظلها...**

**على الحائط**

وكمن يشي بظلهِ إليه، إليها..، وإن أخذت الوشاية أوصال ( فكرة شريرة الآن )، أو كمن يشي بأمه / ويروي قصص ما قبل الطفولة / وما بعدها...

فهاته الما قبلية / الما بعدية الشعرية تستدرج ( ظل الشعر ) ليــسقط فــي حلق الملفوظات، ليتوحد بها../ بيتمها، بتمردها.. وهناك في الضفة :

**" رصيف واحد لأقدامي الكثيرة..."**

**"كيف أداري أصابعي**

**إذا لا مست**

**زغب سجادة !! "**

إنــه أيــضاً ( إيقاع النهايات المقفلة ) ويختم سترة الظل بعلامة شعرية مسجلة:

**" هذا المساء**

مكتمل أنا

لأغرق فيه ... "

هكـــذا فيديل سبيتي يقضّم تفاحته ( النيوتونية ) ويستريح من شدة الجاذبية وإن تمادت في مجهريتها.. وبين نص مفتوح على كل الاحتمالات..، وبين نص مستحيل / ويتيم .. يقبض ( فـــيديل ) على ياقة المعنى دونما مواربة / وفي مواجهة كل الاحـــتمالات يُطيح بجثة الموت وفي أكثر من موقع وفي أكثر من مساحة، ومازالت :

"تفاحة نيوتن محشوة بالرصاص.."

طرابلس/ فبراير2006

* * * *

# افتراضات محترقة

**قراءة في نصوص المجموعة الشعرية :**
**صورة لامرأة مرتجلة، للشاعرة حسنة عُدي.**

الشاعرة: حسَنة عُدي، وعبر مجموعتها الشعرية "صورة لامـــرأة مـــرتجلة" نجد أنفسنا نقرأ واقعها وواقعنا على جدارية الروح، وبتواصلنا المتخيل مع نصوصها المليئة بمشاهد متكررة للغـــة تـــبدو رهيـــنة انطـــباعات لحنان ضائع، لعاطفة جائعة، لشبح..، لطيف لا يأتي..، وبكثير من الآهات وقليل من الدهشة، نجـــدها تقتفـــي آثار خطواتنا قيد الانفعال ( العاطفي )، وبحذر شـــديد تمـــسّك بجدول الانتباه المعلّق في سقف الذاكرة المليئة بالتساؤلات منذ أزمنة البدايات، الرحيل أول الخطو.

فالذاكـــرة ملهمـــة، والنسيان وقود الخوف من افتراضات آنية،..، ومن سيزيف الصخرة، ونيرون الحريق..، والاغتراب حيث يتشكل وحيث يتبدد في غيابه، غيابها..، لنعلقه على رؤيانا الضبابية والباهتة، ونؤطره بأحلام وأمنيات ( هيدونية )، حيث فجوة التمدد ولا شيء غير الصراخ والألم:

أمشي

مع ركب التيامى

أمشي

وجمرات الآهات

مني تفور..

فتجّر صرختي في يم الأناث..

بـــشكل أكثر حزناً تطوي دفتر أيام متصدّعة في الغياب، والآتي تقيده السلاسل..، وكأنها تُعيد بناء وترميم أشلاء الكلام، حتـــى نجدها تبارك النبوءة، تحلق في سماء الحرية، وتصارع تأملاتهـــا المثخنة بالجراحات والمكتظة بالتأوه ( كأوراق شجر الخريف ) في تساقطها وتناثرها واصفرارها وعريها..

وكـــأن ارتكـــاب معصية القراءة، والسؤال.. يقودنا إلى منتهـــى الذهـــول حـــدّ الاصطدام بالجدار المحرّم ( ؟ )، حيث الإبحـــار معهـــا في يمّ المفردات المسيجة بسكون الليل وسواده وترســـم بتداعيات طفولية خربشات ما تبقى من سيرة الجريمة العالقـــة في تاريخنا ( العاطفي ) والمنزوعة من خرائط أسمائنا وشهائد ميلادنا..

فهل نكتفي بوداع المدى، ونعانق الــ( نحن )، الــ( هم ) للهــروب والفــرار من حجم الوطأة المثقلة بارتيابنا، ومساحة الافتراضـــات المحترقة بأيامنا..، فأغنيات الموت وأناشيده هي دخــول وولوج يائس إلى عالم الآخرة..، وكأن ( حسنة ) تكتب وتحفر خوفها شعراً، فغول الموت نجرجر أقدامنا وخطواتنا إليه ســعياً..، ونفتــرض لـــه زمناً أبيض يدثرنا هو الأخر بأغانيه وطقوســـه وصـــلاته وأحلامـــه وعويله وكذا دعواته العطشى ويوهمنا بحقيقته ( الصامته ).

إن سرّ الخطيئة يقيم قريباً من ذاكرة الانتباه المسروقة من دفاتر الأمكنة والصور..، وكأنها تسافر ملء الفرضيات الحافية وتتحسس متاهات النص خارج إمكانية اللمس /..

**من دروب**

**ملأى بالأدعية**

**من ومضة محترقة**

**لأنتهي في بدايتي!!**

احتــراق / رمـــاد / ومـــضات / دروب تائهة.. وتضاد مؤطر وأسير بين نهاية وبداية وما بينهما ينمو الافتراض، فتجّر

وهم الكائنات وخوفها من الزمان الذي يسحق أمانينا الصغيرة، وكأن أحكام النهايات لا يُنطقها ولا يلفظها إلاّ الموت.

نتـــراجع معهـــا للبداية لنسترشد بسيرورة الحركة وتوالد الأيـــام / العمر وانثناءاته في طيات أغنية واحدة، وارتباك آخر يحمل معه آهات وأقدار وأوهام تغادر قامتها :

**" مرت أحلامه**

**تناثرت أشلاؤه**

**رسم البياض في مكانه**

**ألقى الصبح رداءه**

**ومضى به ... "**

**الجديدة _ المغرب**

**أغسطس 1995**

* * * *

# ألــقْ المـغيــب..!!

على حافة القراءة لمجموعة ( ينتظرونكَ )
للشاعرة : خلود الفلاح

( 1 )

في الشتاء القادم
سأشتهي لكِ / صالة..
لا تتجاهلكِ مقاعِدُها
سأشتهي لكِ
حائطاً يواريكِ
سأشتهي لكِ
كعكعاً، خبزاً وجبنة ...
سأشتهي لكِ
برتقالة
تضـيء..

تمنحنا الشاعرة تقويماً لا تسقط تواريخه، وجديلة للضوء لا تنكسر خيوطها، وإن تسلقت كل تلك الجهات والممرات و.. هكـــذا تدنـــو المواعـــيد من رائحة الأنوثة وإن اندست بين تلك الأشـــياء التي منحتها مجالاً وحيزاً على عتبة القراءات، وحين حواف الكتابة تشتهي ( أنثى ) تضيء أسطرها، وحروفها ولغة شـــفاهها..ويلتـــبس المعنـــى في شواشه ( قيد ) الحروف التي راوغـــت تلك الانثناءات، وكأنها تبحث عن اختباءات في جسد النص، في عمقه المحموم وفي مواراته عنّا ومواربته منّا..

**وفي نورها الثلاثين**

**صادقت**

**قمراً**

**وطائرة ورقية ..**

تعيد رصف مدونة التاريخ بنور زمانها وآحافير الذكرى تشدها لطفولة ( حالمة ) سانحة لصفحات التقاويم .. وإن تسلقت ثلاثـــين عاماً من الرقص والعزف.. فالبيانو مازال يمنحنا كل تلك البهجة المختنقة وكل تلك المغفرة ( وصكوكها المزورة ).. ومازال الوقت ينفض عنّا غبار الخواء ويمسح تجاعيد الحزن..

والقمـــر بدورته تكتمل خصوبة الأنثى منذ بدايات الأمومة في تدويـــنها للظل، عتمة الطين، الانتظار المبجل للعائد، لقطرات الحنين اللافحة :

**على جدران الغرفة**

**يستعيرني**

**وأنام وحيدة ..**

استعارة مضيئة ( للهوامش )، وحواف المرآة تطل على ثلاثـــين بنفسجة تدسها ( الشاعرة ) في جيب الزمن وإن لفظت الأمكـــنة بـــوحها، أحرف ومعنى .. أو استباحت مجرة نسيانها خلف ذاك الانتظار :

**خلف الذكرى**

**وأنا**

**تؤرخ**

**هوامش**

**المكان ...**

[ . . . ]

وكأنهـــا مـــع نص ريلكة ( تسمع همس كينونتها.. )، أو ربما صدى الكلمات التي راوغت ألقها.. وللحكاية عطشها وأن دفنت رغائب انتباهاتها بين نسيج الصمت وحياكة المغيب:

**غداً**

**ترتدي**

**الشمس**

**سترة حزني**

**وأنا**

**أتهيأُ للمغيب ..**

وللعـــزف تـــسابيحه، حـــين الأحرف تفيض عن حركة الأنامـــل وبـــين مواعـــيد لا تحـــين .. وبين ذكرى لا يسعفها النـــسيان.. تلتهم الأمكنة والجدران والممرات والمقاعد كل تلك الهمسات / كل تلك التراتيل التي لا يستقر لها وعد :

**عازف البيانو**

**يقسّم التراتيل إلى؛**

**حقول**

**وفراشات**

**ورتابة ..**

....

**عازف البيانو**

**بنظارته العتيقة**

**ألتهم أصابعه ..**

تبحث عن شموع ليلها لتضـيء عيون اللفظ، وقمرها مرآة ( يتيمة ) معلقة في جوف الكون وامتداده.. وأن اعتقلتها جدران الغـــرفة بوحـــشتها.. وفوق طاولة المعنى يكنس الزمان ظله / ظلمته / ضبابه بين ذاك الضوء الخجول وتلك المرآة المسطحة في مكانها حين :

**تركوا**

**وراءهم**

**أكواباً**

**وصحوناً**

عشاء الأمس

وحزمةً

من تعابير ..

الأفق السري للوجود يغطي أسئلة الانتظار ويعري أجوبة الغياب، حين تمنحنا زمانيتها / وأمكنتها وتُعيد رصفّها ( الآن )، وتختـــزل المسافات وطيات النسيان في أنشودة ميسرة.. وتعبّر عنها كمفارقات تائهة في زحمة المقاهي / النظرات / التعابير / التـــراتيل / التفاصـــيل / الباعة / الصحون / الملاعق.. ومن تـــراكمات السنين وأزمنة الحلم تلوذ بطفولتها التي تسربت حدّ الأمكنة التي تطل على حدود ( الرؤيا ):

انكفأت

كل الأضواء

التشيلو المنهك

أغمض يديه

وأدار ظهره ..

[ . . . ]

وعـــند لحظـــة انحسار الشراشف عن لونها: ( ما جدوى الشعر في زمن يمتد نحو الهاوية ـ هيدغر )، ويتواصل العزف خلف الذكرى ( الغائمة ) حين تلملم جرحها، طائرتها الورقية، فساتينها، ماءِها..، وتنزع ( الحمائم ريشها إذ يتملكها الأسى..):

**الإبرةُ المغروسة**

**بفستاني**

**البنفسجي**

**تطرزُ منديل**

**الوقت ..**

لغة مطرزة بعبارات تنزع عن الجدران تجوية الظل / الـــسؤال العقـــيم الـــذي يُعاد غرزه على شفة القول وسترة الكلام.. إلا بما تيسر من رحيل /حلم/ سفر وذكريات عصية على الحضور :

**الزمن**

**هكذا يُقال**

## تفاصيل الأمس

## فاجأتني ...

الـــزمن سيد النسيان / والذكرى ناقوسها ورنينها وحنينها ودفاترها المسيجة بالانتباه / والمؤججة بالقراءات وما تسمح به تلــك اللحظــات من حرية. والمفاجأة وحشة ومسافات بين تلك التفاصـــيل الـــضائعة / المعلقة على أمس/ حين تنمو الأيام من افـــتقادها.. بينـــنا وبـــين ذاك الذي مضى../ وحين العزلة تشد خطوات الرحيل إليها:

**في المسافة**

**الصافية**

**بين ظلينا**

**نمتْ**

**حديقةٌ صغيرةٌ.**

يعلـــق النسيان سقف تمدده فوق ذكريات تتسلل في عمق التفاصـــيل والأمكنة سر التعابير وإن أدار الزمان ظهره دونما تاريخ / دونما وقت يحين:

لأنهم أطلّوا

من الشرفة الخطأ

....

حرموا أنفسهم

روعة المشهد ..

وبعيون الشعر تضيء ممرات اللفظ في سرها وفي التباس المعنى ( ما يدوم يؤسسه الشعر )، ويستمر العزف الحزين / السعيد / الرحيم/ المهيب /.. حين مسارب الروح مخبأة في ( جراح !! ) ووصفة لذاكرة شعرية / وخرائطها محفورة بمداد الأنوثة ومحبرتها السرية. كما تمنحنا صورة شعرية وتعيد استرجاعها( ألبوم من الصور) تتحرك داخل حيز مكتظ بالانتظار.

يتكثف القول الشعري ويتزامن مع الايقاعات والتقسيمات لينضوي تحت حدة ( النسيان / الذاكرة ) ويتكرر ليقتفي أثر التسمية المتردد صداه في النفي/ الشكل / النغم/ الاخفاء/ المصادرة.. حين يقين الذات يجد في الآخر حقيقته. كما أن الشاعرة إزاء ذاتها / أناها / تعلن عن حضورها

المقــروء ( نصاً )، ينسحب للتو من صفر القول الى درجة صــفر الكتابة. وفي تفاصيل الحرف المفاجئ للنفاذ في عتمة اللغة ذاتها.

تونس 2006

* * * *

# حافة الرواية

يخيفني الكلام لأنني، إذ لا أقول أبداً أشياء كافية،
فأنا أقول دائماً أكثر مما يلزم من الأشياء أيضاً.

**موريس بلانشو**

## الصورة النقطية لظل حواء !!

**النص الروائي ( وبر الأحصنة ) للكاتبة: نجوى بن شتوان**

**"إذا كانت الكتابة محايدة حقاً.. فإن الأدب سيكون حينئذ مقهوراً..، لاشيء لسوء الحظ، أكثر افتقاراً للوفاء من كتابة بيضاء؛ إن التعبيرات الآلية تنشأ حيثما كانت تقوم في البدء حرية ما، وإن شبكة من الأشكال المتصلبة تروح تضغط أكثر فأكثر على طراوة الخطاب الأولى..**

**رولان بارت/ الكتابة والصمت**

**[ . . . ]**

النص الروائي ( وبر الأحصنة )، نقرأه على حافة المحتوى الذي تصوغه نجوى بن شتوان دونما تماس، مع أي صيغة لتعددية ( حواء/ الأنثى/ المرأة/ الأم/ ) ولكنها تتجه كمحاولة شبه جريئة لقارئ مفترض لا أُمثّلة ..، وعلى حافة المنحى التخطيطي الممكن استعارته كتحفيف أو ( تشذيب ) للحواف وبتوافق لا يرتبط بأي توجه أو منهج نقدي يعيق

القـــراءة وما تتفتح عنه..، ولكنها بتوافق مع إعادة سبر أغوار ( المعطى ) الذي يصوغه النص .. وحدود القراءة وهي ترسم تلك الملامح التي تم تحديدها وتأطيرها وشكلت الفراغ المتباعد للـــنص في تأمله للبؤس الإنساني وبعلامات تحفرها نجوى بن شـــتوان حادة وغائرة وعميقة دونما جرح دونما دم يسيل على أســـفلت الطريق الذي سنسلكه ( وأن مثلته بطريق العابد ) ..، فهـــي من جانب تُعيد طلاءه ، لنكتب فوق بياضه نص الشاعر الإنجليـــزي فيلـــيب لاركن: " يتناقل الإنسان البؤس أباً عن جدّ ويتفاقم البؤس كالرف الصخري قرب سطح الماء، فلتخرج منها في أقرب وقت ولا تنجب أنت أي أولاد."

[ . . . ]

الرواية التي تقرانا عَبرَها الكاتبة نجوى بن شتوان وننفذ تحـــت غطائها إلى تلك المخطوطات والأوشام والأختام القسرية والتـــي تموضـــعت في أكثر من وجهة وعلى أكثر من توجه، وارتـــسمت منذ أزمنة بعيدة على أكثر من طريق... وهي تنعي أزمـــنة غابرة أسيرة اليباس والجفاف والقحط والملح والعطش والقمع والرغبة و اليتم والاغتراب.. وعلى تخوم المدى ليست

سوى ( كيان ) يتناسل ويرث الهموم والأحلام معاً ( حواء كانت تفكــر فقــط عندما تكون بحاجة إلى التفكير ولكنها لم تخلو من الهمــوم ..!! ). و روايـــة وبر الاحصنة تنبش في سلة الهموم وتأخــذ منحـــى التخمـــين والحـــدس، وعلى أوراقها تستحضر منحنـــيات التداعـــي والـــتواجد وتخطط ضمن مجال استهلاك المفهــومات التـــي تعكــسها ( أيديوغرافيا ) التمثلات وتمثيل الكلمـــات بالصور والرسومات لتشكل مغامرتها (!!)، بتجاوزها لفعـــل الهيمـــنة وتأطيرات الايديو ـ ثقافة الاختزالية بوضعها المـــتداخل والمتضمن لسلطة فضح الخطاب الاجتماعي، والذي تقوضـــه الرواية بتعرية افتعالاته وانفعالاته واستبداده القسرى والـــسري.. وهـــذا الفـــضح يأخذنا إلى القراءة / الاستنطاقية.. وحسب ما يذهب إلى ذلك جاك دريدا: " هناك دائماً إمكانية لأن تجـــد في النص المدروس نفسه ما يساعد على استنطاقه وجَعلْه يـــتفكك بنفـــسه." ، وعلى دفة ذلك سنتجه لقراءة النص ضمن فضاء مفتوح يتسع لمختلف الاحتمالات المفاجئة.

[ . . . ]

الــبدايات الأولــى التــي صاغت يقظتنا من تلك الظلمة السحيقة / ذاك الفجر..الذي شق رحم السماء ومازلنا نبحث في ثناياه عن دفاترنا المنسية وواجباتنا التي لم نؤديها..ومازال السر قابع في تلك اللحظة وفجر ولادتها بين جسدين ( آدم / حواء )، ومازالــت تشكل سر انتسابنا وماركة سلالتنا، ومازلنا نضرب حولها التكهنات.. ونؤجل امحائها لحظة اشتعال الموقد / ولحظة الــولادة/ وكثيرة اللحظات التي نسجنا من لفافها تلك الأمجاد / الغابرة والطازجة/ وهاته النصوص.. نقرأ صمت السر الكامن بين ضلوع التأوه.. ومن أول الخطوات تجاه اليتم وإن صاغت الانثــربولوجيا منهجــياته ونحتت الأركيولوجيا معالمه ومدافنه وقلائــده وأحصت التواريخ سعيه و لهاثه/ خيبته ورجاءه/ أمده وانــتظاره/ هزائمه وغنائمه/ وإن اعتنقت السبايا مراتع خواءه ورعونة سلوكه..

**" من ذهب مع حواء للكوافير الطبيعي.. ص7**

**" حواء ليست لها أسرة تزورها ، وتثقب زياراتها جيوب آدم النباتية ، فقضى الله أن يتخلص آدم من**

**تكاليف الزورة، على الطريقة الليبية على وجه الخصوص.. ص 8 ".**

وتجـدل النـصوص خطـوات حـواء قبل أن يأتيها المخـاض.. الكاتبة تخوض سفرها وسط جلبة ( التصفيق / المخـاض / الطلـق /.. ) وبين تاء التأنيث ونون النسوة، تـبحث عن ( وادي الهموم ) الذي أغلق تلك البدايات حيث ( الـوادي رمز حلمٍ متكررٍ بالأنوثة ـ فرويد ) ولازلنا نقرأ صمتها على سحنات المومياء وعلى ضفة ذاك الوادي، وبين صخور الكهوف وأن ابتلعتها البراكين.

ولكنها تُعاد رسم صداها ونحت خرائطها على مختلف أنمـاط أشـكال الثقافة المادية وتراكماتها المعرفية، تحملها همـوماً تعـدّ مغلقة على المجتمع النسوي ( محلياً !! ) وفي أقصى حالات التمييز العضوي والوظيفي...

وكـأن المطـبخ صاغ وشكّل الحد الفاصل بين سلطة ذكورية ( متوهمة ) وبين خنوع وخضوع نسوي متوّج بكل تلك الإسقاطات والتناقضات المريرة والخوف المزمن والحاد. ومن غيرها ( حواء ) حين:

**" اندفعت في البكاء إلى ما لا نهاية عندما وضعت**

**قدمها فوق العتبة ولم تجد مخلوقاً في الدار لاستقبالها فهي يتيمة من دون أم تعلمها شؤون الرعاية بالصغيرين وتساعدها على الاهتمام بهما.. ص9 ".**

نعثـــر بـــين طيات النص على حالة يتم ما وراء حكائية تـــتجاوز السرد ولكنها تفجر ذاك التراكم ( الجيولوجي ) الذي يمتد لأحقاب تاريخية مجويه ( تجويه ) ومتراصة من أول قطرة حلـــيب إلـــى آخـــر استنساخ جيني، من بداية الشعور بالأنانية والاســـتحواذية إلـــى حـــدود الانهيار المفاهيمي لتلك العبارات المنزوعة المعنى/ المجردة عن وعيها..

**" ماتت حواء بالجلطة الاجتماعية ومات آدم بفقر الفهم، وهما يواصلان التناسل وفض خصومات بينهم، وفي أول ليالي المأتم تعارك الأخوة على الميراث، تدخل بعض المعزّين لفض الاشتباك ، الآخرون الذين لم يتدخلوا يدوياً بأسنتهم ألسنتهم .. "**

ويولد البطل خلف تلك المهزلة / وخلف ذاك الصراع وكأن ولادة ( البطل ) نتاج للصراع اللا ـ متكافئ، صراع الأجـــيال، صـــراع الاســـتحواذ صراع الاستبداد..، فالبطل صـــورة ملوثة لكل تلك الجنائز والمدافن، ونص مزور لكل

تلك الأناشيد والأفاعيل.. وإن غشنا القدر والتاريخ وصنعا تلـــك اللحظـــة المارقة عن كل حياد، فيا له من أرث فقير وشـــريد وهـــزيل..لا يستحق كل هذا العناء، فلماذا تبحث الـــراوية عـــن سر الاعتقال/ عن سر التوريث/ عن متاهة الحزن الذي لم يكتمل منذ فجر الخليقة، ولكنه يزداد تراكماً ويزداد لوعة ولازال يسبح في بحيرات من الدموع التي لم تجف بعد:

**" لقد كنّا نتسامح كما أوصانا أبونا آدم وأمنا حواء، فلعن الله الشيطان، إنه السبب في كل ما حدث لنا من سوء كليبيين، الشيطان هو السبب في عطل الفهم وعطل لغة الكلام الحسن والملكات الخيرة وكل شيء، كل شيء.. من قفل الشوارع إلى قفل الرؤوس!! " ص 19 - 20**

بـــين المـــوت والحياة، بين الخير والشر، بين الأنثى والذكر، بين الحرب والسلم، بين الثقيل والخفيف، بين الجوع والتخمة، بين الفقر والغنى، بين الكبير والصغير،... وما بين كـــل تلك المفارقات ندون الأحداث ونُعيد صياغتها ونتجاسر حولها وتدب في أوصال الحياة الاجتماعية ظلمة الفهم وحدّة

الجهل وما تيسر من رهانات خاسرة أبداً، ويُعاد إخصاب تلك الخسائر ( بين / بين ) مهما انتهت صلاحيتها أو ترأت لنا في ثنايا ظلمتها وبين طيات أوراقنا ( المزورة ) و شهائد ميلادنا التي تخدع أزمنتنا، ( ومن قفل الشوارع إلى قفل الرؤوس )، يأكل الصدأ ما تبقى من مفاتيح وسلاسل ويلتهم التاريخ الوثائق الرثة الضائعة بين ( المكان!! ) وأسرار الخديعة التي كبلّت عنق الملفوظات قبل تلفظها (فأنتِ مدانة يا سيدتي... منذ تركت حواء جديلتها وأرفه في مهب الريح.. وحين قادتها ( السلطة المزورة ) إلى المذبح تارة قرباناً للخطيئة وتارة احتفالاً بالإله الجديد ( الذكر )، وتحميل كل تلك التواريخ طاقة سلطوية يمثلها قابيل وهابيل/ جلجامش وأنكيدو/ أو تمثلها رغبة التنازع بين البقاء والفناء بين الخلود والعدم بين الخوف وطلب المغفرة/ بين وقود الشيطان وبين غريزة اللعب بالنار، وخلف ذاك الرماد يشعل النسيان ثقاب الذاكرة، فتدون النسوة حظهن العاثر على جلبة الرحى/ وخلف أغنيات وأهازيج مشفرة بالرغبة والغواية القابعة في سرة الحبل الذي لم يعثر على مشيمته بعد، ولازلن خلف سياج الانتظار يطلقن الزغاريد المبحوحة، ويرسمن وهم الخلاص وشم وحناء.. وعلى عتبات الأضرحة وعند مرابع

الأولـــياء الصالحين والطالحين وعلى العتبة المقدسة بنزيفها ليس لها سوى ( عشبة الخلعّة !! )

**" ندمت حواء لأنها لم تتنازل حبوب منع الحمل، تذكرت أن لديها واحدة، فتشت عنها في صندوقها الأثري، ولما وجدتها أخبرتها الحبّة بأنها عجوزاً وانتهت صلاحيتها كولود ص 17 - 18 !! "**

**[ . . . ]**

نجــوى بن شتوان في روايتها " وبر الأحصنة "، ترسم طـــريق ممــتد / أرصفته متناثرة على سدة الخلق / الوجود، الــصراع/ البقاء، ومن زمن الجلطة إلى لحظة الولادة، تبحث عن دفاتر مطوية تحت تلك الأزمنة وحرائقها التي لم تنطفئ، يــؤججها النــزاع ويشعل فتيل نارها رغبة كامنة / متخفية / مباغتة / ميسرة / مقموعة / منزوعة من رحم الخصوبة إلى شـــوارع قاحلـــة ومـــدن صماء لا تنجب إلاّ حرقة ( أنثوية ) التهمت أطرافها نداءات شغوفة ( تشفي غليل ) جهنم:

**" حلمت بجهنم..! إنها مفاجأة لا تحتملها الطفولة، أليس كذلك؟! لكن طفولتي الصابرة تحملت المشاهد بقلب**

**جسور، كانت شوارع جهنم مثل شوارع بنغازي، وبيوتها مثل بيوت اجدابيا وناسها مزيج من هؤلاء وأولئك، ... ص162 "**

مــساحات لا يمكن تفاديها / لا يمكن الخلاص منها، تعيد صـــياغة ( تـــراجيديا ) مسرحية ميسرة، وكأنها امتداد لمسرح القسوة الذي يعرفه آرتو بأنه " التأكيد على ضرورة رهيبة، ليس بـــالممكن تفاديها... "، الذي ينتج نصه بتأكيد قسوته وصرامته ونفض الغبار عن المعنى المحجب/ المخفي والمتخفي/ المغمض العينـــين/ المطـــبق الـــشفاه.. ذاك النص الذي لا نرى منه إلاّ الحـــركات / والهـــياج / والإغماء / فقدان الوعي... وتسميها ( نجوى ) الجلطة التعبيرية؛

**" ويموت الأصمّ بالجلطة التعبيرية، لأن الناس لم تعِ مفهومه عن الحب... ص141 ".**

لغـــة لا يمكـــن التحرر منها إلاّ بفيض إنعاش/ أو بعبارة آرتو في مدونته: فان غوخ/ منتحر المجتمع:

( أعتقد أن ثمة دائماً في لحظة الموت النهائي، شخصاً آخر ليجرّدنا من حياتنا الخاصة .. ). أمام مفاهيم المطلق / والآخرة / والاستفهامات المغلقة على إجابات عقيمة وخلّب / ونصوص خاوية عن إمكان الفهم وسهولة العطب أمام أسئلة

( القدر ) واللا ـ وعي الذي يستنطق فينا ضآلة ما نحن عليه / وما يحتمله ضعفنا الآدمي الذي ورثناه / والذي نحن عليه بمـــا نحن ( نكونه )، وبين كينونة ناقصة وتائهة تبحث عن تكـــرارها وتناســـلها وإعـــادة تدوين طرائق حياتها ومعالم طـــرقاتها وإشـــارات ضياعها / من المأكل إلى الملبس/ من تكاثـــر وتناســـل / من توالد الأسماء وبين ( التقاويم ) التي يعتريها ذهولنا وأمام تناقصنا مع الزمان ودورته الأبدية التي لا تهدأ... ( للوراء در )؛

" نشط اللاوعي داخلي فسال من أطرافي، وصعب عليّ التحكم به، كان أشبه بالعجين المخمّر الذي نساه أصحابه في الوعاء كان يتألم أمامي من أشخاص لم أعرفهم، وفهمت بعد لأي أنه يتألم من الحياة بشكل عام، وأولئك الأشخاص ما هم إلاّ عينات ستصادف أي مخلوق حيٍّ، كان اللاوعي يفيض مثل صنابير المياه عندما تنفلت بعطب مفاجئ، وأنا أُلملمه بيديَّ الصغيرتين، عاجزة عن فعل شيء أكثر من مد اليدين... كان يئن هاذياً، دنوت منه أكثر فأكثر، فسمعته يقول لنفسه: أنا من أكون ؟ ولماذا جئت ؟ وكيف جئت؟ ص 171 - 172 ".

[ . . . ]

قــراءة الــنص: تــستجوب اللا ـ وعي الذي يستخلصه الوعــي، اللا ـ منطوق الذي يستنطقه المنطوق، اللا ـ شعور حــين يــتلمس الشعور ويستدركه ويتحسسه، وعند تلك الأسئلة نــستظل بالشجرة المباركة/ المحرمّة، ( حين الوعي هو صوت الــروح، والأهواء هي صوت الجسد ـ الإعلان الإيماني/ ذاك الــصوت الــذي يسمعه المرء عندما يفي إلى ذاته ... دريدا )، ومــن خلال ما تصيغه الكاتبة من هواجس/ وتداعيات/ نتسلل خلــسة بــين طــيات محاورة فيدروس التي صاغها أفلاطون ( الحقــيقة في الروح )، حيث امتياز اللوغوس المفكّر به أزلياً، والتي ينحتها جاك دريدا ويمنحها ذاك التواصل الكوني ( الكتابة القابلة للفهم وغير الزمنية !! ) ويطرق سؤال الوجود / الكينونة علــى أســطح تمثل الوعي واللا ـ وعي وكأن هذا التساؤل لا يمنعنا أبداً من الفهم والبحث في الوجود الذي تسلّم به الفلسفات والفكــر الوضعي العلماني والتجريبي وكأنه حالة عجز ويمكن طــرحها من جانب ( لغة الوجود التي لا تعوزنا لأننا لا نملك الكلمــات التــي تتكون منها / سيناصر ) ونتواصل مع النص الروائي في استحاثته للوجود وسؤاله عن سر الكينونة الضائعة

والمعطــوبة والتي صاغت خرائط الأزمنة مداراتها وعجينتها ورحاها وطينها:

**" من أنا؟ أنا من ؟**

**وما هي مهمتي في هذا الكون الواسع ؟**

**إن لم أكن أنا الآتي في تلك اللحظة، فمن كان سيحل مكاني..؟**

**وماذا سيكون شكل بديلي وطبعه وتفكيره ؟ ألا يمكن أن يكون هو أنا المكرر.. ؟**

**أمْ أنا مكرر غيري .. ؟**

**ترى لو خلقت طائراً، فأي طير سأكون ؟ بندقية من سترصدني ؟ وأي حيوان آخر سيطاردني ليأكلني ؟ وكيف ستكون نهايتي ... ؟ ص172 "**

ويــتمدد السؤال باحثاً عن قامته/ وعن مفاهيمه المفككة/ البنائـــية/ التي أرهقها التحليل والتأويل والقراءة وإعادة القراءة وسبر أغوار الوجود والكائن ( إنسان )، فهل كان آدم / حواء لا يفكـــر/ تفكـــر إلاّ إذا اضطرت/ اضطر إلى ذلك، ومع ذلك لم يخلو من السؤال عن سر وجوده/ وكينونته المتناقضة. المتحللة من ترميم الفرضيات/ المعطى منها والقابل للحركة ضمن غطاء

الوجـود الـذي يعيد تصويرها وصياغتها/ أحداث/ وكوارث/ غايـات/ ومبـررات... أو يعيد نفيها وكأنها محاولة في اتجاه تفكيك شفرات مختلطة بين بيولوجية وراثية أو هندسية جينية أو تطورية داروينية أو احيائية وظيفية.. تشترط كل تلك الأفاعيل/ الأباطـيل التناقـضات/ الاتهامات بالاعتداء على سر الوجود، وهي في سياق آخر تحيل مسودتها إلى عمق السؤال الذي يُعاد إخـصابه فـي كل مرحلة/ وفي كل حقبة/ سواء ظفرنا بها أو قادتنا خطانا إلى متاهاتها الموغلة في ضآلتها/ وتشيؤها:

" وإن كنت حشرة، فمن أي أنواع الحشرات سأكون ؟ "..

"وإن كنت نباتاً فأي نبتة سأكون ؟"..

وإن كنت هواءً فأي نوع سأكون ؟

وإن كنت تراباً، فتراب أي أرض سأكون ؟

وإن كنت ناراً، فأي نار سأكون؟

أما لو كنت حباً أو حزناً أو خاطراً يعتمل في الوجدان،
فكيف سيكون شكلي وفعلي؟..

"ماذا كنت؟ وماذا سأكون؟ وبعدما أكون ماذا
سيحدث لي؟ وبعد أن يحدث لي ما سوف يحدث لي،

**ماذا سأصبح، وإلى أين سأذهب وماذا سأكون ؟!..**

**وإن لم أكن أي شيء من الأشياء فماذا تراني كنت سأكون؟!.. ص 174 - 175 ".**

وتأخـــذنا النـــصوص ( كمحاولة ) جريئة للإفصاح عن صـــوت الوجود ( المبحوح ) دونما استرشاد بمنحى تخطيطي توجيهـــي يمكن إخضاعنا له أو اعتماده كتتكر وتضليل مضمر وكأنهـــا مجازفة داخل حقل الميتافيزيقيا في صعوده وهبوطه، وفـــي ذات الحقـــل يُعـــاد رســـمها وصياغتها ( كموتيفيات ) وموضوعات تجريبية للمدلول تعيد إنتاج نفسها عفوياً لا تستعير مـــن خارج ذاتها بل هي في صميم الذات ذلك أن ( التأمل غير المـــنقطع لهـــذا السؤال لا يُعيد ترميم ضمانات بل هو بالعكس ينفـــيها نحو عمقها الخاص، وهذا، مادام يتعلق بمعنى الوجود، أصـــعب ممـــا نعـــتقد غالباً..ومثل هذا التأمل يساهم تماماً في زعـــزعة وحدة معنى الوجود، أي، في المطاف الأخير، وحدة الكلمة.. مارتن هايدغر _ الوجود والزمن. )

تغيـــرات وأحـــداث متواتـــرة تصوغها عبر نصوصها المحملّـــة بإعـــياء المشهد ( الصورة ) المحتملة، وإن حضرت التداعـــيات مـــتدفقة ورصـــدتها قيد ( المعبر ) الذي يؤول إلى

ارتهانـــات وإخــضاعات ( المــصلحة ) التي دونتها الأحداث المتلاحقة والمتعاقبة .. وسكنت النصوص والحكايات والأخبار والأمــثال والــتهكم .. واندست في الأحياء الرثة والتي تيبست أوصـــالها وأطــرافها فـــلا طــريق العابس ولا طريق آخر.. فالطرقات موصدة والبوابات تناسلت كلما ازدادت الدروب تمدداً .. إذن لابد من طريق ولو طال الانتظار:

**"وطريق العابس طويلة جداً مثل حبال الحكومة ووعدها ... ص 41 "**

وانصهرت الأسماء مع تأثيرات مصاحبة للدلالة والتدوين الغير معلن وأن اعتقلته الحناجر إلى حين:

**"إذاً أخرت قدومي للدار الزائلة طريقة ابن عم الحكومة وصهرها وقريبها في إنشاء طريق لليبيين يمشون عليها، ويقضون حوائجهم الدانية والبعيدة، ويصلون بعضهم البعض، ويتصاهرون وتتقطع القطيعة ... ص42 "**

تداخلت الغايات بالأقدار/ وسمحت لنفسها بأن تطل على ســقف الوجــود، وصاغته دفاتر الأزمنة ( زينقو وبراريك.. ) وانهــيارات قاسية ارتسمت ملامحها على وجوه الناس/ الأشياء

وعلـــى مـــشارف تلـــك الانتظارات الصماء ( وبر الأحصنة: ص43 ـ 44 )، تمنحـــنا ذهـــولاً تجاه الوقائع الميسرة للقول/ الكـــتابة، والحكايـــة أسفار مديدة/ متخيلة/ ومستباحة تعتقل بين ملفـــوظاتها كل ذاك الذوبان والصهير العالق في كأس المرارة/ والتعب/ والجهل/ والقمع والغيبوبة المستباحة/ والطفرة الوراثية بنقائصها المحتملة عند ( مندل ) أو عند سلطة المتوهم فينا حين تأخـــذنا ( الرواية ) ضمن تلك القوالب الصامتة والمغلقة على مآســـي وارتهانـــات وخضوع مشروط بالجوع والقمع والفقر، وكأنهـــا بـــذات القـــوالب المشروطة بتحليل النظم التي شكلت المفاهيم السلطوية/ التربوية/ السوسيو ـ ثقافية وتشابكها وكأنها محرمة ولا يمكن النفاذ إليها إلاّ بسلطان/ تحكمها بسلطة جوانية وخارجية ترعى فسادها ضمن الهيكل المحرم، والرواية تفضح ذاك النـــسيج المهتري وتعيد تأسيس مدونة الفهم ومداراته التي تلـــتف على ( جيد ) الجسد الهزيل الضائع/ التائهة بين مغارته الـــسحيقة وبين الوجهة التي فقدت بوصلتها في بيئة طاردة منذ أمـــد بعـــيد، وإعـــلان التمرد ( النيتشوي ) يظل الملاذ الوحيد والممكن الذي يحلم به الفكر الفقير!!

وهـــي أيضاً السلطة المضادة ( عنفاً لغوياً ) وكما تسميها

روبـــن مورغان حالة ( عاشق الشيطان )، وعلى دفة الهامش. ينـــصب الفرد نفسه في خضم الوجود القمعي محامياً للشيطان وعلـــى حـــدّ تعبير دريدا ( بدافع الخبث يمنعون علينا الحقيقة الصارخة ).

وعـــند الاقتراب من الهيكل الصارم في وحشيته ليس لكم غير التعاويذ والتراتيل والعبارات المسخرة للأولياء وعصاباتهم وأتباعهم وأنذالهم، وليس لكم من معين غير السخرية من القدر الـــذي بـــاع عظـــامكم وجلـــودكم وتاجـــر بنطفكم وبويضات ( حـــريمكم !! ) وأخـــرس أصـــواتكم... ومزيداً من التعاويذ المـــستطيلة والدائرية والحلزونية الصاعدة والهابطة حدّ القاع، وكذلك الدعوات المجلجلة للأسياد:

**" والنجدة غير المعلنة، فقد ثبت بالبرهان، برهان الأولياء الصالحين وفعاليتهم في إبقاء العنصر الليبي متواجداً حتى الآن على وجه الأرض، وناجحاً في بعض الأمور أحياناً... فالبركة نحيا وبها نستمر، وليس مهماً معرفة بركة من منهم!! ص 139 ـ 140 ".**

ويختـــرق الـــسؤال بانتصابه بكارة العتمة ووجهة النظر فقأت عيونها واستطال وجهها ويتم تزييف الزمن بأصابع تلعن

وتُشير إلى قبضة تلوح في الهواء دون ذراع تحملها/ دون رأس يوجهها:

وطوابيـــر العاطلين عن الفهم يزداد مكتسحاً سوق العمل: ( انظر: ص148ـ 149 ).

تـــستنطق الرواية سيرة التناسل والتكاثر ( ألهاكم التكاثر )، ولكـــنها تمـــارس تنقيـــباً واستكشافاً للنزاع والترابط / للانصهار والتواصل / للقطائع التاريخية وتمفصلاتها المرتبة والعشوائية ..، والتي وحدها قادت ذاك المجهول والتراجع إلى سحيق الزمان في تداخلاتـــه الـــصارمة حدّ الموت / القتل / ... والنبش في حوائط المقابـــر والمـــدافن والجثث التي باعها العطش والجوع وامتصت دمائهـــا ( لحظة طيش وعنف آدمي ) عن طريق الخطأ/ الصح.. فالـــتاريخ مغلـــوط حـــين نعيد سرده روائياً ولازال مشبع بكل تلك القـــسوة والدمار والتي حاكتها الدسائس والمكائد ونظرية البقاء/ ... أو سجلتها تلك اللحظات المسروقة من شهائد ميلادنا دون اختيار... فقط ( نتيجة الخوف من المجهول وعدم وجود وقت لكل شيء:

**وأدّت أحويوة الثانية والثالثة ....**

**أما أحويوة السادسة عشر بعد الألف التي أبقت عليها الرغبة الكائنة في جسد حمد .. ص25.**

تلك العملية الحسابية لم يكن لها أثر سوى إعادة ترميم/ وترابط بين التكرار المتصل بالتفاهة... ويمكن القول إنها لا تأتـــي في موضع التشويق والحرقة التي يوفرها النص/ بل تحيلها إلى عملية حسابية تركيبية أو هندسية متوالية على حدّ فرضـــية ( التوس )، ولكننا سنبتعد عن محددات التأويل ذلك بـــأن ( انفـــتاح الانطولوجيا الجوهرية، ليس سوى لحظتين ضروريتين ولكنهما مؤقتتان..)، وهذه الارجاعية التي تقودنا إلـــيها الـــرواية تشكل عائق لحركة الوجود / الكائن وتمحي حـــدود الاختلاف بينهما وعلى حدّ ما يذهب إليه جاك دريدا ( التراجع الذي بدونه لن يكون ثمة من تاريخ للوجود هو من أقـــصاه إلـــى أقـــصاه تاريخ وتاريخ للوجود ..)، وعند تلك الاختـــزالية فلـــيس للتاريخ ( العددي/ الحسابي ) من وجود ســـوى حدّه الصارم/ الغير قابل للنفاذ إلى أمس/ الماضي إلا عبر ( اللوغوس ).

وخلـــف تلك الهواجس والخوف من العزلة ساهمت في ( الاتحـــاد ) وصياغة شكل الجماعة حيث تم ( الاتفاق قرب الجابـــية ) أو النـــبع/ النهـــر/ البحيرة/ النافورة وأخيراً في المقاهي/ صالات الرقص/ .. وتتباعد حدود الاتفاق وتضيع

في زحمة ذلك المواعيد والأسماء والعناوين/ فمن يعيد ترتيبها بما يشكل بداية أولى لأي ( موضوع )، وهذه المرة: أول الطوفان/ أول لقاء بين حواء وآدم/ أول زواج/ أول ولد/ أول نطفة/ أول لحظة خجل عالقة على وجه التاريخ ومازالت تمسح حياء حشمته/ وستائر عزلته/ ورسمت الحد الفاصل بين لحظتين ( التفريق بين جنسين/ نوعين/ حالتين / مكونين/.. ) ولكن في حقيقة الوجود تفلت عن أي اعتذار تاريخي يمكن تقديمه ضمن أي نص كتبناه/ قرأناه/ اخترقناه وخرقناه/ تحريماً أو منعاً... ولكنهم تركوا بصماتهم وأثار حوافرهم وموتاهم وصدى عويلهم وصراخهم:

**" أصابعهم متسخة بالتراب على الدوام ورائحتهم كلها موت ... عندما يغمسون أصابعهم في الثريد ليأكلوا يذهب إلى بطونهم شيء من تراب مدافنهم غير المرقمة وغير المعلمة .. ص21 "**

لحظات قاسية يحتفظ بها التاريخ ويدونها على جدار المعبد/ الضريح/ الأسفار/ المزامير/ عبارات التهجي/ أضلاع الخروج/ محركات الغريزة... وهكذا فحياة البدائيين أمّا وليمة أو مجاعة ومهما كان شكل الوليمة ( جسد حيواني/ إنساني ) ويشتّد الجشع وينمو ويتواصل وتتحول الأمكنة إلى

غابـــات استئـــساد ومعتقلات استبداد متوحشة في فرضياتها ولازالـــت تملأ الحياة بكل تلك/ المخالب والأنياب/ السكاكين والـــرماح/ أدوات الحـــرب والقـــتل وكأنها انحدار دائم نحو الوحـــشية فـــي ســـفرها المـــتجدد والذي تحركه الدماء فهي وقـــودها... انتهاكات تدوي ويعلو مجدها ويتعاظم ـ فالموت مجانـــي ومطلـــب والفقـــر- الجوع تنمية مستديمة ومبجلة ومـــصانة بأعلـــى القرارات وأجود الصياغات، حيث صار للموت مذاق/ وأن اختلطت التسميات وتم تهذيبها باسم العار/ الخـــوف أو تحت أجنحة الغريزة وظلالها المتخفية ( غيرية واستحواذية ) ونزعات امتلاك واستحواذ/..:

**"خطّط للانتقام بمهارة، ربما ساعده عدم وجود شرطة آنذاك أو قوانين تدينه، ... ص15"**

أليـــست الوقائع شاهد الحقيقة ومزارها المنتصب والقابع تحـــت أسقفه وبين جدرانه الادعاءات بامتلاكها (الحقيقة) وربما في سجال آخر تصوغه الروائية:

**"الشيطان هو السبب في عطل الفهم وعطل لغة الكلام والملكات الخيرّة وكل شيء، كل شيء ... من قفل الشوارع إلى قفل الرؤوس ..!! ص20 "**

وبين الوضعية أو الوضعانية وتموضعاتها لا يختلف الموقـف الاجتماعـي/ السياسي/ الاقتصادي إلا بما تلون بأصـباغ وخطابات تعيد رصف طريق المهزلة المشروطة بالتوقـيع علـى الإرث التاريخـي المجـبول بالخسارات المـتجددة والمحملة وراثياً وجينياً وتسمح بها التشخيصات والـرموز والحيلة والمراوغة والمداهنة وكل ظروف إنتاج الانحطـاط وبوضع ( تاء ) الاختلاف نبرر الحيلة ونمنحها ذاك الغطـاء المخادع للمعاني المتعددة وتراصها في جوف لا يلـتحم مدخلـه ولازلـنا نخطـط حظائره ونحنط سننه وشرائعه وذرائعه ( وكأن الله للرجال فقط !! ):

**" ماذا تقول الطفلة عن شعب يتجاسر على الله ولا يجرؤ على مواجهة حكامه وطواغيته وفقره وجهله ومشاكله .. ؟! ص 55 "**

في خضم ما تمنحه لنا الرواية من اهتزازات لتلك اللوحة الموشـومة بقـدر زائـف حمّـل المـرأة كل الآثام والخطايا والمغالطـات التاريخية الكبرى بداية من فكرة العار التي جلبها آدم مـن وادي همومه الذي لا ينقطع تدفقه وجريانه خلف تلك الجـبال الـصماء /.. وأدى ذلك إلى إخضاع الرجل للمرأة من

خلال ( فكرة ) التوريث، لأن الرجل طالب المرأة بالإخلاص له إخلاصـــاً يبـــرر له أن يورّث ثروته إلى أبناء تزعم المرأة ـ وحـــدها دون غيرها !! ) إنهم أبناؤه، وهكذا نفذّ الرجل ـ آدم خطـــته بالـــتدريج صاعداً لسلم الهيمنة والتسلط، وبدأت الملكية تهـبط بالـــتوريث، وتم الاعتراف بالأبوة وسلطتها الأولى على الأســـرة وتراجع حق الأمومة ـ حواء أمام تلك الفكرة، والتي مازلـــنا نراها من أشد الموضوعات خطورة وأكثرها خصوبة لإنـــتاج الـــصراع والنزاع. وكأنها ( عمل شاق لا يستطيعه إلاّ الرجال .. ص 53 ).

وتخـــوض مديحها التطهيري وكأن ما يظهر عبر الكتابة نفسها وعلى حد تعبير جاك دريدا: ( في لحظتها غير الصوّاتية، هـــو الحياة. وهي تهدد في الأوان ذاته النفس والروح والتاريخ بمـــا هـــو علاقة للروح بذاتها.. ). وتلج الكتابة الروائية عبر النصوص التي تضيّق الخناق على أسطورة النظام البطريركي الصارم والمتوحش والذي يطل برأسه وحيوانه ( حتى وأن كان منوياً.. ) على صياغات تفسيرية ذائبة من شدة الانمحاء الذاتي والجوانـــي الـــذي ســـمح بتلك المراوغات والخدائع المتظافرة والمـــتلازمة في ( سلة التاريخ ) وأرجوحته المشدود بحبالٍ من

مــسد.. هكــذا صار للعرافة دور مهيمن يقض مضاجع الغيب ويــسيطر علـــى ســفوح ذاك الــوادي المسمى بوادي الهموم المــسروق من المستقبل / المنتهي الصلاحية، حيث "يشترط أن تكــون عجــوزاً لا تحيض ولا تغتسل خالية من الحياة، تطرق البــيوت والــنجوع، تمد كفها اليمنى صامته، ولا ترد على من يكلّمهــا مهما كلّمها، وعلى من تأتيه أن يعي مقصدها فلا يبطئ في إعطائها حاجتها...".

[ . . . ]

ويــستمر تــوارث الإرث العاطفــي المهزوم وأن دونته العبارات المجوّفة على شكل قلب يخترقه سهم كيوبيد/ أو دفنته وصــية تحت الكثبان الرملية الممتدة من الشرق إلى الغرب، أو عرضته حركات اغوائية أو صنعته قنان البخت؛ تعرضها علينا نصوص الرواية كإشارات شاردة وتلميحات تومضّ إلى مكان/ دون أن تــراه أو تحجبه/ مكان تعرفه ولحظة تاريخية مستعارة يمكن تصويرها بتفاصيلها الحادة والقاسية والقابعة في تشوهات خلقية/ روحية/ جسدية رسمت أثارها وسخطها وقرفها، ولكنها منحتــنا تلك الآثار والشظايا... وتمنح للنص غموضه المتوّهم

والمـــتوجس ( خـــشية إمـــلاق )، فـــنجدها تـــشحنه بمزيدٍ من التبريرات والتبجيل وقليل من الوقار المستعار:

**" أحداث تلك المراحل وجدت في يوميات الجنين الذي سكن البطن القبلي، كانت مدونة على جدران البطن السبعة، بدا متراسلاً مع تؤمه أو مع فرد من أفراد العالم الآخر الذي أحبته روحه وربما مع من يخلفه، وربما مع نفسه أو مع حاملته أو مع الآخرين هنا وهناك ... ص 116 ".**

وبـــين لحظة نشوء ولحظة ارتقاء/ بين (لوغوس) الفكرة وصرير الروح تبدو النصوص في عرض تناظراتها كاستضافة لقلـــق اللغة وهاجس بنية النص ذاته والتي تحاول القبض على ضـــرورة متخفـــية وراء الظاهرة التي لا شك ولا لبس حيالها، وربمـــا بصياغة مغايرة نجدها في قول جان روسيه: ( يمارس الـــشكل إغـــراءه عندما لا نعود نتمتع بالقوة الكافية لفهم القوة الهاجعـــة فيه، أي للخلق ). وحيث أن عجزنا وضآلتنا تحررنا من كل التزام ممكن أو منظور أو متوهم، فإنها تمدنا ( الكاتبة ) بكـــل تلـــك التقويضات والطرق على مفاصل النص ( لتهديم ) تشاؤمه المستمر.

" **إذا كنت ستولد في أحد مستشفياتنا فلا تثق في اليد التي تمتد إليك، أقطعها فوراً إن استطعت، قبل أن تُشوهك أو تُميتك، فالخدمات غير المؤهلة لاستقبال القطط، يحملونها أكثر من طاقتها باستقبال الآدميين .. ص 126** ".

صرامة وقسوة مؤكدة وتعبيرية ذات ملامح بارزة وحادة، لا يمكـن الانفـلات مـنها أو الفرار من مواجهتها وأن شكل حـضورها وعـياً كارثياً، وغيابها وعياً دراميا ومأساوياً وبين الـصورتين تحـضر ( البراعة ) في فرض المسوّغ والمصاغ والـذي لا جدال حول قدرته على التركيب بين الروح والنص/ ولأنهـا لا تسكن عالماً آخر غير ما نحن فيه/ محيطاً اجتماعياً مـتداولاً بكـل شـيماته وموضوعاته المربكة والمحجرة، فإنها تعريها وتجردها من عريها وتصدمنا بها لتلبس الشكل/ التعبير دون اكتراث دون التفاف، ونعثر على ضالّة القول عند موريس بلانشو: ( يخيفني الكلام لأنني، إذ لا أقول أبداً أشياء كافية، فأنا أقـول دائمـاً أكثـر ممـا يلزم من الأشياء أيضاً. وإذا كانت الـضرورة فـي التحوّل إلى نفسٍ، أو كلام تُضيق الخناق على المعنـى ـ هو مسؤوليتنا عنه ـ فإن الكتابة تخنق الكلام أكثر وتعيقه أكثر أيضاً ). وعلى دفة التجربة العبرانية فإن ( الكتابة

هي قلق الروّح المتحسس من جهة العزلة والمسؤولية الإنسانيين ) وكأننا في مهب حالة بنويماتولوجية تشطرنا وتنفخ فينا كل هذا الـــسخط/ المآسي/ الأهوال الشاهقة في ثبورها وفجورها وبين الخـــدش والإيغـــال مسافة تاريخية حادة لا يقطعها إلا القربان المقـــدس الأضـــحية المباركة، قطرات الدم المسألة حيثما تيسر للمـــضحى به باستمرار، وعند ذاك الخط الفاصل بين الأرض والـــسماء/ بـــين الموت والولادة / بين الضوء وانحسار العماء يظـــل الرحم هو كهفنا الأول وأن تنازلت الأمومة عن عذاباتها وكينونـــتها وحـــين تتعثـــر خطـــواتها تحـــت طائلة الحراسة ( وعقـــدة الشرف ) وحذر التجول الذي كرسته الغولة وعجوز القايلـــة، لحماية المسخ كاستلاب سلطوي واعتداء وآثام وخطايا وسبايا وبغايا.. ومن صاغ كل تلك النماذج والافهومات حين:

**" كان هناك رجلان من خارج الشارع، تقاتلا بسبب امرأة كل يريدها لنفسه وليس للآخر، وصارت عفريته المجني عليه تظهر في المكان الذي أزهقت روحه فيه، وبدلاً من أن تخيف القاتل أو تذهب لمناجاة حبيبته، ظهرت لأهل الشارع وكأنها أخطأت العنوان، وهي تُكلف بالنزوح للدنيا، وصار اللعب مكروهاً للصغار في فترة ما بين المغرب والفجر .. ص 141 "**

إيحاءات تقودنا إلى فعل التأسيس لحذر التجول/ والكبت/ وتعـــود بـــنا إلى أصل كلمة اللعب التي نطلقها اليوم هي ذات المفردة التي نطلقها على المصيدة/ الصيد.

الـــرواية توقظ فينا المساء السابق لمجيء حواء/ وقبل أن تتحول إلى محطة في قبضة اللحظة التاريخية المندّسة خلسة في دفاتـــر ( فرويد )../ اللحظة المؤسسة لذلك الاختلال الذي ميز هـــذا التفـــضيل وهذه القوة التي تفقد توازنها حين نعيد صياغة مـــدونات الـــتاريخ والتـــي تعبر عنها رواية ( وبر الأحصنة ) والغائـــية التـــي تحيلنا ليست إسقاطاً من صنع الكاتب/ القارئ ولكـــنها موضـــوعة المؤلف، لأنها متضمنة بين وعي الراوي ووعي البطل/ المشتبه في انتمائه إلى لا أحد.

[ . . . ]

تفاحة الخروج لأول القطف، آدم الهارب من جنة خلوده ..، وعلـــى نقيض ذلك/ يرتفع ضغط الدم.. ويزداد النبض احتداماً، والقلـــب تلـــوكه لوعة ووحشة الهموم التي نحتت على جدرانه وبـــين معابـــره تلك الخرائط والخطوط و ارتعشت تحت طياته احتـــراقات الحنـــين..، نواح وفقدان خلّف وراءه أثار وآثام و لعـــنات وســـخرية قدريـــة علّق على حوافها شارات هزيمته وبهجته وعلى أكتافها حمل خيبته..، وتاه خلف الجهات الغارقة فـــي غيابها ( حواء )../ باحثاً عن مجد زائف أو مجرد اشتباه لكـــل الأحداث الغارقة والعالقة ( بين الداخل والخارج )، والتي لا تمثّل سوى إحالات أوتوبيوغرافية ( نص يتعلق بسرد السيرة الذاتية )، لتاريخانية الجسد في موته وولادته، وحالة اللغة على حدّ ما يوجهنا إليه رولان بارت في ( الحجرة المضيئة )، وهي أيضا جراحات لا تلتئم أنسجتها، وتلك المرأة التي:

**" تسللت من نسلها لا تهتم بنتف شعرها ، وتمتهن معالجة عقم الذكورة والوخز... صعبة المزاج طيبة القلب/ امرأة لا تملك في فمها لسانين وفي صدرها رئتين وعد بلاليع...**

**وأخرى لحمها اخضر لكثرة الوشم عليه/ إنها ليست خريجة سجون الدولة بل سجون الحياة .. ص 68 ".**

تـــتداخل المنظومات ولعبة المفارقات تشد حبالها الرمزية مع إحالات متقطعة الأوصال ( الوخز / الوشم / نتف / بالوعة / ســـجن / .."، وبين أوصال الخروج وقطيعة الدخول ( الصدر / رئـــة .. الفـــم / لـــسان .. الكلام / تنفس.. )، والحرية مؤطرة بالهيدونية أو التشكيك المعممّ على فضاء النص الروائي وحركته وتعبيـــريته وأن حضرت ( كجلطة )، تخترق العلاقات المركبة بـــتجاوزها للهـــوامش وهـــدم صرح البنية المزورّة لبيبلوغرافيا سوسيو ـ ثقافية صارمة وقاسية ( ترى بأن الحرية هبة أو منحة أو إكـــرامية ســـلطوية خاسئة)، تشكّلت وترعرعت تحت ظلمة القباب والمدافن وأقتفت أثر ذاك العويل / الزغاريد / الصراخ / الهياج والأهازيج.. وعند حوافر ومعاول التهشيم يقفز الظل عن مكانـــه ويستقر الرحم تاركاً الفسحة لولادة جديدة، قد تحين دونما نفاس.. دونما مباركة من آدم..، دونما تسمية أبوية:

**" ألا يمكن أن أكون أنا من حرر تلك الكلمات،**

**في لحظة ترقيد إجبارية فاشلة أو ناجحة،**

**صادقة أو متوهمة ؟!**

**ألا يمكن أن تكون أنت ؟!**

**بدأت بالفعل أشك..**

....

**ألا ترى معي بأن راقد البطن خير من راقد الريح**

**لو كان لك أن تختار بين الراقدين هنا. ؟!..**

**ص 179 ـ 180 ".**

**[ . . . ]**

الذاكــرة البعــيدة المــسيّجة بأكثر الاحتمالات رعونة، المشاهد المقعرة/ المحدبة.. الجلاد/ الضحية.. القدر/ الاختيار.. الصورة الظلية للموت/ الصورة النقطية للحياة.. الظلمة/ العار/ الخجل/ الحياء/ العماء/ البكم / السأم/ الملل/ الرتابة/ ..حين:

**" الوجود القطيعي يتعدى الظروف التي تستلزمه، لتحول إلى حالة ملعونة من نظام اجتراري ملعون .. ص 204 "**

وداخــل تلــك المغارات السرية يولد الموت تولد الحياة ( الرحم / القبر/ السجن/.. ) وذاك الشاهد ـ على ضفة القبر أو

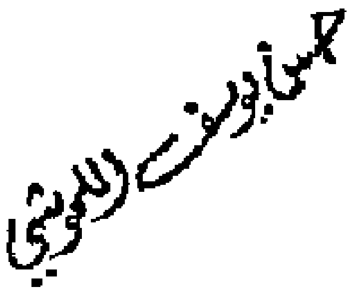
بقاعة المحكمة أو الهارب بين صفحات التاريخ ـ سيمنحنا فكرة الفجــور و التوقيع للترميز والدلالة على سحنة السلطة السرية التــي منحناها للقرارات، الخيانة، الأختام، النصوص المحرمة، الــشيخ، المغفــرة، الصكوك البنكية،.. ومازلنا نخفي ملامحنا وأسمائنا ونحرس عيون عزلتنا والنهايات النقطية..تحت ستائر السلطات الجائرة المتناسلة والمتسائلة:

**" بعد عودتي إلى التواجد لا أستطيع تذكر شيء يروى، إنه غياب موقوت ومؤقت يختفي فيه صوت القلب الطنان وأي حس،**

**تفرغ الدنيا من أناسها ومن الحياة، إنها لحظة فراغ ابدي لا تدوم..!! ص 199 ."**

ويحــضر ذلك التمــرد/ الشيخوخة/ سن اليأس/ العجز/ العقم/ الفراغ..الخواء..العدم / كإعتراف وإقرار بخصي الزمن وتعلــيقه على الحبل السري لحظة إعلان الوفاة ( إعلان موت البطل )!!

**طرابلس 2006**



# الفهرس

الموضوع رقم الصفحة

## مدخل




■ يقدّم مجلس الثقافة العام للقارئ الكريم مجموعةً من إصداراته الجديدة المتنوعة ، التي تتضمن أجناسًا أدبيةً وفنيةً ، تهدف إلى دعم الكتاب ونشر المعرفة وتنمية الذائقة الجمالية وإثراء الحركة الثقافية .. آمِلاً إسهامًا جادًا يضيف إلى الحراك الثقافي رصيدًا مميزًا وفضاءً جديدًا للمعرفة وللحياة.

مجلس الثقافة العام